



كتف النسا

عن المقاوم والشغاف في المحاكم الأذولى
لقتلة بن بركة

نبض

جنة أظها - المفقأة عن عادرة المربي بن بركة

بحنة إطهار الحقيقة عن قضية المهدي بن بركة

كشف النقاب

عن الحقائق والتغارات في المحاكمة الأولى

بحث: اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بكر

الرئيس : شارل اندریه جولیان

نائب الرئيس : روبر فیردیه

مجلس الادارة : روبر بارا - ایدابوردیه - هنریان دو شابونای - دانیل جسیران -
هنری هیرفیه - بیبر جوکس - شارل اندریه جولیان - الپیر بول
لستان - روبر فیردیه .

اللجنة التنفيذية : أعضاء مجلس الادارة بالاضافة الى : ایمانویل داستیه دو لا فیجیری
- مدام بومجارتنر - جاك بیرك والسيدة حرمه - کلود بوردیه -
روبر بیرون - ب.ه. شومبار دو لو - موریس کلافیل - بیبر گوت -
جان دریش - اندریه دو بیریتی - روبر جان لونجیه - تیودور موئود
- مادلين رویریو - مکسیم روڈینسون - جان روستان - دافید
rossیه - آلان سافاری - لوران شفارتز .

عنوان المکتبة طرف الانسة دوشابونای ، ۱۵ کیه دو بوربون ، باریس « ۴ و ۴ » -
تلفون « ۴۴۳۶۹۳ »

بقلم : شارل اندرية جولييان

(استاذ شرف تاريخ الاستعمار بجامعة السوربون ، وعميد شرف كلية الآداب بجامعة الرباط ، ورئيس لجنة اظهار الحقيقة في قضية المهدى بن بركة) .

قبل أن أستهل حديثي عن المهدى بن بركة نفسه (١) أود أن أذكر أن صلات عاطفية متينة كانت تربطني بالعائلة الملكية ، فقد كنت خلال عشر سنوات الصديق - بل الصديق العجمي - لجلالة الملك محمد الخامس ، وفي اليوم الذي فُتئت فيه بافتتاح كلية الآداب بجامعة الرباط - قال لي جلالته انه قد أولاني شرف رئاسة هذه الكلية لا لعماقة لفه ، بل لأنني كنت أؤدي عملاً جليلاً ونافعاً من أجل المغرب ، وقد بعث لي بصورته الفوتوغرافية موقعاً عليها باهداء ، ذلك الاهداء الذي استشهد به ، لا على سبيل التعال بل أكاد أقول توافقها بقدر ما يفرضه على اليوم من أنه يستند على اخلاصي النهنى وصدقتي الدائمة للمغرب ، ولهذا أردت أن أقدم ، بقدر ما استطاع نظرة موضوعية ما أمكن لا يمثله أمامي المهدى بن بركة ووضعه في إطار العلاقة المغربية التي لا يمكن عزله عنها .

فقد عرفت المهدى بن بركة خلال سنوات طويلة وخاصة في الوقت الذي كنت فيه أمضى نصف كل شهر في الرباط حينها كان رئيساً للجمعية الوطنية وكثيراً ما كنت نجتمع معاً لا مجرد المواجهات السياسية فحسب ، بل للمناقشات الحية التي كان يتطرق فيها من موضوع لآخر ، ومن لحن موسيقى لباخ إلى كونشرتو أو زدار ، ومن جبال حول هيجيل أو حول سارتر إلى مشاكل فلسفية أو سياسية ، فقد كان -

(١) نص هذه المقدمة هو نص الشهادة التي أدى بها شارل اندرية جولييان خلال المحاكمة الأولى .

ان كان لا بد لي من وصفه - الرجل الذى يتميز قبل كل شيء بنشاط خارق وبهجة الحياة وسيماً تفرض نفسها على الآخرين ، كما أنه كان يجذب المرء بالرغم منه إلى حيث يريد ! وما كدت أصل إلى الرباط حتى حيساني بحرارة ، وطلب إلى أن أكتب صفحتين في جريدة حول أفضل الطرق التي بموجتها يمكن تجنيد المهندسين ، وحول تنمية المهارات الفنية مستقبلاً في المغرب . وكان دائم الحركة وفي حالة دائمة من البحث وحب الاستقصاء ، وهو نوع من الاستقصاء التسيط الذى لا يتوقف عند حد ، ولا هو بالاستطلاع التابع من قراءة الكتب فحسب ، بل كان استطلاعاً إنسانياً يمتد إلى كل مكان حيث يجده فالله المشودة !

وبالاضافة إلى ذلك فقد كان المهدى بن بركة يتميز أيضاً بطلعة بهيجه ونشاط يتجدد على الدوام يتمثل في نوع من الخلق الذى كان يعكس نشائه . وانى مازالت أذكر ذلك اليوم الذى قال لي عند وصوله إلى مزرعتى فى ضاحية بيرجور في فرنسا : « جئتكم الآن بعد ان اخترت فرنسا طولاً وعرضـاً .. فرنسا .. البلد الرائع ! » ذلك البلد الذى كان معجباً به ، ثم أضاف قائلاً :

« عندما شاهدت جميع هذه الأقاليم المفعمة بالثراءات ساءات نفسى : ولكن ماذا عساهم أن يفعلوا في المغرب ؟ وبعد تفكير تبينت أن المغرب كانت بالنسبة لهم طبق الحلوى .. ! »

وهذا بين الدليل الذى طرح به الموضوع ، وكما قلت ، كنت دائماً أراه في حالة دائبة من الحركة وفي حالة كفاح ، فقد كان الرجل الذى يعرف كيف يخاطب الناس ، ويعرف كيف يشير الجماهير ، ويعرف كيف يلهب فيهم ذلك الحماس الذى كان واضحاً بصفة خاصة في الشباب والذى كان يعرّف كيف يلهب فيهم الحماس ويعيّنهم من أجل آية قضية .

ثم قاد الكفاح من أجل الوحدة بين المغرب « الفرنسي » سابقاً وبين المغرب « الإسباني » سابقاً ، ومن أجل هذا الهدف قاد حملة لتنفيذ سياسة زراعة الاراضى ، ولم تكن مجرد تخيلات تلك التى كان يحاول ترجمتها ، بل أن ارادة العمل هي التي أفضت إلى أن يتحقق تقدماً

الغرب على أيدي الجماهير ، ومن أجل العمل نحو تحقيق هذا التقديم كان يحس بعمق بكل ما كانت تناوله تدين به نحو فرنسا ، وبكل ما يمكن لفرنسا أن تقدم له من مزيد ! غير أن ذلك لم يكن يمنع مطلقاً من ظهور وطنيتها وارادته بأن يكون قبل كل شيء مغربياً .

ان هذا الرجل الذي تلقى تقافة جديرة بالتقدير والذي كان طفل كان يسعى فقط وراء العلم الذي يتعطش اليه ، كان خبيراً في الرياضيات ، وقد كان زميلاً عميد كلية العلوم يشيد دائماً بتفوقه على أقرانه . وفي عام ١٩٥٦ تقدم برسالة المحتوى على درجة الدكتوراه في العلوم غير أن العمل الوطني الذي كان يمارسه وقت ذلك لم يتيح له فرصة اتمامها .. وكل هذه الصفات تسمى مج باظهار الشخصية غير العادية التي كان ساحراً بها تأثير على الجميع حتى على المسؤولين عن الشؤون المحلية في جنوبي المغرب . وكان قبل كل شيء رجلاً يملك امكانيات من ثروة غير محدودة يمكن من أجلها ان نجزم بأنه لو كان المهدي بن بركة قد اختفى فإن هذا حقاً خسارة لا تعوض !.

وهذا يجذب الى السؤال الرئيسي الذي كنت أود أن أطرحه : كيف لم يكن في الامكان ادماج رجل بمثل هذه السجية في جهاز حيث كان في استطاعته أن يقدم أجمل الخدمات ؟ .

وأود أن أجيب عنه دون أي اعتبار ، ودون مهاجمة أي شخص ، بل في محاولة مني أن أوضح أن وراء هذا الجفاء أسباباً قوية وظاهرة .

وخلال ما يعتقد نفر كبير من الناس فإن الاسرة المالكة المغربية ليسمت بالاسرة المالكة التي تعتبر هيبتها دينية ، بل هي اسرة مالكة تستمد بعثتها من الدين ، فالمملك قبل كل شيء من العائلة الشرفية، إذ أنه ينحدر بصفة مباشرة من أصل النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق على وفاطمة عليهما السلام ، ومن هنا فهو يملك ذلك النوع من السلطة الفاضحة أي « البركة » التي يجددها له كل يوم الاربعون ولها الذين يمررون فوق رأسه ! كما أنه يملك وحده امكان ترجمة الشريعة الاسلامية الى افعال ، لا تلك الشريعة التي يقوم بتفسيرها

العلماء وأساتذة الشريعة على المستوى الفقهى ، ولكن هى التى تجعل الملك يرغم الناس على احترامها ، وبحكم منصبه هذا يعتبر الزعيم القوى ورئيس السلطة التنفيذية ، وهو القاضى ، وهو الحاكم ، وهو الرجل الذى يملك جميع السلطات .

على أن تلك الحكومة الملكية وجدت نفسها - بسبب الضرورات المعنية التي كانت تقتضيها عملية التخلص من الاستعمار - فى صراع مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة التي ورثتها عن عهد الحماية ، وقد خلق قوام اقتصادى على أساس صناعى مشكلات عدة مما لم يكن يعمرها التقليد المتلاصلى ، كما أن المواجهة مع المقتضيات الجديدة كانت تستدعي تعديل المjtة، وهذا يمكن جواهر المناقشة التي تعيننا أساساً الى المهدي بن بركة :

فاما (وهذا رأى يمكن الدفاع عن نفسه) أن تترجم الأفكار الجديدة الى الحدود التقليدية للمجتمع الاسلامى مثلاً ما كان عليه فى الازمنة القديمة ، مع الصفة السائدة للملكية الأرض ومع الاستبداد على أساس الحكم فى أيدى رجال الدين - ذلك الرأى الذى يتمسك به الكثير من المغاربة باعتمادهم على الأسرة المالكة ،
واما - طبقاً لرأى آخر - أن يعتبر بان الاسرة المالكة قد انقطعت عن كونها فiscala ، او انه اعتباراً من عام ١٩٦٠ تسللت مقاليد الحكم بصورة مباشرة وانها بذلك وبكيفية ما قد أصبحت علمانية بان وضفت نفسها بصورة مباشرة فى عالم لم يكن له وجود حتى ذلك الوقت ، ومن هذه الحقيقة فان المشكلة لا تتخذ موقفاً بعد الان بالطريقة نفسها ، فهناك أساليب فنية يجب اتباعها ، وهذه الأساليب تفرض حلولاً جذرية فى الشؤون الاقتصادية ، نظراً لفاقة المقرب ، ولا سيما فى برنامج الاصلاح الزراعي الشامل : فهو يجب تصفيية آثار الاستعمار مثلاً ما كان ظاهراً فيما قبل فى المجال الصناعى أو الرأسمالى... أو التمسك بها ؟ وهل يجب اللجوء فى ذلك الى الجماهير والى الاعيان ممن يعبرون عن آمالهم ، أو يجب أن تترك القيادة الى رجال السياسة ممن يخضعون للتقاليد ؟ .

هذا هو جواهر المشكلة : فمن ناحية فان هناك الفئة التى تؤيد الماضى والى ترى التمسك بحكومة ملكية دينية محافظة

بصورة اقتصادية ، ومن جهة أخرى فإن هناك جماعة من المفكرين ذوي الفقولة الثورية من يريدون تغيير شكل المجتمع لصلحة الجماهير ، وكان المهدى بن بركة يمثل في الواقع ذلك الاتجاه الأخير داخل المجتمع المغربي ، وبفترة لا يمكن أى شخص أن يتجاهلها ، وقد اصطدم من هذه الحقيقة ذاتها لا بمقاومة المصالح فحسب ، بل بالمعتقدات والتقالييد للدرجة أنه حينما كنت استمع إلى مناقشات عن مدى الحوار الذى أمكن اجراؤه بين الملك والمهدى بن بركة وحينما كنت أستمع إلى التأكيدات بأن التفاهم كان أمراً ممكناً وإن التقارب كان محتملاً - فاني أقول بأن المشكلة لم توضع في مقامها الصحيح : فالتفقارب كان محتملاً لو أن المهدى بن بركة رضي بالأسرة المالكة داخل إطار الماضي ، وكان ذلك محالاً لو أن المهدى بن بركة تمسك بأرائه الخاصة بتغيير شكل المجتمع والاقتصاد المغاربيين .

غير أن بن بركة كان رجلاً أثبت أنه على استعداد لقبول التعاون مع الأسرة المالكة وإن كان لا يقبله إلا إذا كان مشتملاً على أساليب فنية جديدة تهدف إلى تنظيم البلاد .

على أن التفاهم كان في اعتقادى أمراً مستحيلاً ، فقد استطاع هذا التزاع بين الأفكار التي لا تقبل التقسيص أن يؤدى بالنسبة للبعض - كما يحدث كثيراً في دول البربر العربية - إلى عمل عدائى خسىد رجل لم يكن في الامكان التسوية معه إلا عن طريق حل جذري !

أما بالنسبة لنا وباسم جميع أصدقائه فليست مجرد ذكر المهدى بن بركة التي نود أن نحييها، بل أنها أيضاً الخسارة الفادحة التي تمثل في اختفاء أحد الشخصيات القوية للغاية ، فقد كان بالنسبة لنا هو الشباب .. بل كان هو شباب العالم الثالث ... وكان أملاً .. وأمام هذا الاختفاء - وهو ما كان شكله - فإن انطباعاتنا إنماهى ليست وجود كارثة فحسب ، بل وقوع خطأ جسيم، ونحن نعتقد أنه لو كان حقاً هذا الاختفاء مفعلاً فإنه يمكن أن ينطبق على هذه القضية الرأى الذى أدلى به «تاليران» عقب تنفيذ حكم الإعدام في دوق انفييان حيث قال : أنها أسوأ من جريمة .. أنها غلطة .. » تلك الفلة التي يمكن أن تكون عاقبها بالغة الخطورة بلا حدود !.

تهدىهم

يتضمن أربعة أدلة رئيسية

١ - رشيد سكريج

٢ - روبيير فيريدييه

٣ - ولد سريف

٤ - روبيير بيرون

تقويم للأحداث

المقتصدة لوقائع هذه القضية التي تبدو كنهاية منطقية للموقف الذي تتخذه الحكومة تجاه حزب «الاتحاد الوطني للقوى الشعبية» وتجاه زعيمه منذ انتخابات عام ١٩٦٣ التي فاز بها حزب المهدى بن بركة.

وننعيid سرد هذه الوقائع في كتابنا هذا ، بل نرجو من القارئ الكريم الرجوع الى المراقبة البارعة في المحكمة التي أدلّى بها الأستاذ موريس بوتان المحامي أمام محكمة الاستئناف بالرباط ، والمنشورة في مكان آخر .

غير أننا نورد فيما يلى تقويم للأحداث التي جرت في ذلك الوقت :

فبراير سنة ١٩٦٠ :

تم القبض على زعيماء حزب «الاتحاد الوطني للقوى الشعبية» بحجة اكتشاف «مؤامرة» على ولی العهد مولاي الحسن ، ولهذا فإن المهدى بن بركة (وقد وجهت اليه تهمة الاشتراك في المؤامرة) يقرر البقاء خارج البلاد .

٢٦ من فبراير سنة ١٩٦١ :

وفاة جلالة الملك محمد الخامس فجأة ، الحسن الثاني يخلفه على العرش .

١٦ من مايو سنة ١٩٦٢ :

عوده ابن بركة ظافرا الى الرباط عشية انعقاد المؤتمر الثاني لحزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية .

١٥ من نوفمبر سنة ١٩٦٢ :

محاولة قتل المهدى بن بركة في حادث سيارة على طريق الرباط - الدار البيضاء .

يهدف هذا الكتاب الثاني الذي أصدرته «جمعية الشهادة المسيحية» في فرنسا الى اعطاء صورة دقيقة وواضحة لأحداث القضية عشية المحكمة الجديدة .

وقد ذكرنا في جزء سابق الأطوار المتعاقبة لتنفيذ عملية الاختطاف التي تمت في عشية عيد جميع القديسين عام ١٩٦٥ ، كما كشف عنها التحقيق والجلسات الطويلة في المحكمة الأولى ، ثم قمنا بتحليل واضح وموضوعي ما أمكن لمسؤولية الأجهزة الفرنسية أو مخبرى تلك الأجهزة التي بدونها (ونكرر ٠٠) لم يكن ممكنا أن تقع هذه الجريمة .

وفضلا عن ذلك فإن هذا الكتاب الثاني يقدم - في شكل مقتطفات - الشهادات الرئيسية التي أدلّى بها في المحكمة أصدقاء المهدى بن بركة أو الشخصيات التي كانت تعرف أوجه نشاطه عن كثب نظرا لأنهم كانوا يعملون معه .

غير أنه لكي نفهم ونوضح ونحدد جميع المسؤوليات في هذه القضية لا بد لنا أولا من وضع القضية داخل أبعاد السياسة المغربية للسنوات العشر الماضية :

فالأحداث التي تعاقبت الواحد تلو الآخر في المغرب منذ أن اعتلى الملك الحسن الثاني العرش إنما تشكل في الواقع الصورة

١٧ من ديسمبر سنة ١٩٦٢ :

الاستفتاء على الدستور .

١٧ من مايو سنة ١٩٦٣ :

انتخابات الجمعية التشريعية : حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية يسجّل انتصاراً في جميع المدن الساحلية ، أى في جميع المناطق «الملائة» .

يونيو سنة ١٩٦٣ :

سفر المهدى بن بركة في مهمة إلى دول الشرق الأوسط .

١٦ من يوليو سنة ١٩٦٣ :

اكتشاف «فح» نصبه الكولونيل أوفicer المدير العام للأمن الوطني منذ عام ١٩٦٠ : جميع زعماء الاتحاد الوطني للقوى الشعبية تقريباً ، المجتمعون في الدار البيضاء في مقر المجلس الوطني يلقى القبض عليهم .

١٥ من أكتوبر سنة ١٩٦٣ :

بن بركة يستذكر هذه الحرب بين الدولتين الشقيقتين ، والمحكمة العسكرية الملكية تحكم عليه بالاعدام غيابياً .

يناير سنة ١٩٦٤ :

اصدار الحكم بالاعدام على أحد عشر زعيمًا ومجاهدًا ، ثمانية منهم غيابياً من بينهم المهدى بن بركة .

١٢

اغسطس سنة ١٩٦٤ :

أو فقير يحصل على ترقية إلى رتبة الجنرال ، ويُعين وزيراً للداخلية .

٢٣ من مارس سنة ١٩٦٥ :

وقوع حوادث دامية في الدار البيضاء والرباط وفاس ومراكش: يقع بسببها المئات من القتلى والجرحى .

ابريل سنة ١٩٦٥ :

خطاب الملك الحسن الثاني يعلن فيه العفو العام على جميع المعتقلين السياسيين ومن قدموا للمحاكمة ، ولكنهم ما زالوا محبوسين في الأراضي الغربية .

٧ من يونيو سنة ١٩٦٥ :

الملك يصدر أمراً باعلان حالة «استثنائية» في البلاد : «تعطيل» القوانين البرلانية ، ولا تزال البلاد تعيش في هذه الحالة التعسفية .

ان الشهادات الثلاث الأولى الموضحة فيما يلي تكشف بل تفضح محاولات الاغتيال التي كان هدفها المهدى بن بركة ، والتي قامت بارتكابها «الأجهزة الغربية المخصوصة» التي تعمل داخل المغرب وفي فرنسا أو في أوروبا والمعونة «الفنية» التي تلقتها في الأراضي الأجنبية .

والشهادة الرابعة التي لها دلالتها في هذا الشأن والتي أدلّ بها الوزير السابق روبير بيرون - إنما تؤكد هذا «التعاون» القائم بين أجهزة الشرطة .

وجميع هذه الشهادات تلقى الضوء وبصورة تسترعى الأنظار على الضريبة القضائية التي نفذت يوم ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٦٥ والفح الذي وقع فيه المهدى بن بركة والذي لم يخرج منه مطلقاً !

وطلب مني أوفقي أن أقرأ له باللغة العربية التقارير التي كانت
في الملف .

وقد كانت تلك التقارير قد أرسلها من باريس أحد مفتشي
الشرطة من كانوا يقيمون في العاصمة الفرنسية تحت ستار قيامه
بأعمال دراسية !

وبعد مرور بعض الوقت قدمتى إلى مساعدته ، فقد كان دليمي
مكلفاً بإعادة تنظيم فرق الأمن أو الفرق الخاصة . . .

ومنذ تلك اللحظة بدأنا نسمع الكثير عن المهدى بن بركة ، وقمنا
بمحاولة جمع المعلومات عنه من كل مكان . . . ووجهت المكاتبات
الرسمية إلى جهاز الأمن الوطنى الفرنسي حول هذا الموضوع ، وعلمت
في ذلك الوقت أن المهدى بن بركة قد نجا مع أحد المجاهدين فى
حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية - من محاولة لاختطافه فى
باريس ذاتها ، مما يفسر سفر المهدى بن بركة فيما بعد إلى جنيف .

ثم كان عودة المهدى بن بركة بمناسبة انعقاد المؤتمر الثاني لحزب
الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، ومنذ عودته تلقت أجهزة الـ
Cab-1 الأوامر بمساعدة الجهود لمحاولة اقتقاء أثره عن قرب ،
وجهزت فرق الأمن فى الرباط والدار البيضاء بسيارات لاسلكية ،
وقد اتت برصد حركاته بصفة مستمرة وعلنية .

وفي عشية انعقاد المؤتمر أرسلت إحدى فرق المباحث بлага عن
أحد السائقين . . . وقد اختطف هذا الرجل قبل افتتاح المؤتمر بثلاثة
أيام ، وتم استجوابه في مقر الشرطة بالرباط ، وتم تعذيبه بعد
استجوابه ، ثم أعطى مسدساً من عيار « ٦٥ - ٧ » ، وقد قدم للمحاكمة
 أمام محكمة الرباط بتهمة حيازة أسلحة غير مرخصة . . .

وكان لدى دليمي تعليمات من السلطات العليا بلازمة المهدى بن
بركة . . . وكانت من نتيجة هذه « الملازمة » المحاولة التي وقعت على

شهادة رشميد سكيرج

(ضابط شرطة سابق في المغرب ، وقد ظل يعمل لسنوات طويلة
في الرباط بالإدارة العامة للأمن ، وكان يشغل وظيفة مساعد
لدليمي في قسم الوثائق والأمن المعروف باسم الجهاز Cab-1)

بوصفى مفتش شرطة سابقاً ومساعداً لدليمي - يهمنى أن أقول
على الفور : إن عمليات الاختطاف والإبعاد ، بل وتصفية الأشخاص
انما هي على الأقل خلال فترة عملى - اجراءات عادلة في الأجهزة
التي كنت أعمل بها .

وقد كان المهدى بن بركة دائماً موضع اهتمام خاص من جانب
جهاز الأمن المغربي وكان المسؤولون في هذا الجهاز يظهرون ابن بركة
دائماً على أنه عنصر خطير يجب محاربته بكل تأكيد وبشتى
الوسائل .

وبعد يومين من تعيين الجنرال أوفقي كرئيس الأمن الوطني قام
بزيارة مقر Cab-1 ، ثم طلب مني أن أستخرج له الملف الخاص
« بالكولونيال أوفقي » ، أي الملف الخاص به ، وكذلك الملف الخاص
بالمهدى بن بركة .

وكان ملف المهدى بن بركة يتضمن بعض التقارير التي يبدو أنها
كانت تهم أوفقي كثيراً ، حيث انه كان يريد بوجه خاص بعض
المعلومات عن المهدى بن بركة في الخارج .

وفي الواقع كان المهدى بن بركة قد غادر المغرب عقب قضية
ميشيل لحرizi .

وبينما كنت أحزم حقيبة ملابسي دق جرس التليفون .. فقد كان الماحي . وقال لي : إن الجنرال أوفقير غاضب ، لأنني لم أعد لقابلته ، وطلب مني أن ألحقه في مطار أورلي فورا .

وبطبيعة الحال لم أذهب إلى المطار ، بل توجهت إلى البعثة الدبلوماسية الجزائرية وطلبت منها أن تمنعني اللجوء السياسي . وفي اليوم التالي سلمتني السلطات الجزائرية جواز مرور ، ثم سافرت إلى الجزائر . وعند وصولي هناك علمت أن العائلة الفرنسية التي آمنتني وقت هروبي قد تعرضت للمضايقات على أيدي رجال الشرطة !

طريق الدار البيضاء وقد قام بهذه المحاولة رجال الشرطة والمفتش سلاوى الذي كان مكلفاً باختلاق حادثة في الطريق ، وإذا لزم الأمر فليكن المرور فوق جسد المهدى بن بركة !

ثم وردت مكالمة تليفونية من مراكش من دليمي الذي تصادف وجوده هناك مع أوفقير والملك ويدو أن دليمي لم يكن راضياً بالتفسيرات التي قدمها سلاوى ، وانتهت المكالمة على الوجه الآتي : « انك أحمق جاهل .. ! كان يجب عليك أن تدوسه .. كان ينبغي أن تقتله .. ! ». .

وكنت شخصياً مضطراً لغادر المغرب ، وعند وصولي إلى فرنسا علمت أن أوفقير قد سبقني إليها ، فذهبت لقابلته لأسلمه استقالتي . غير أن أوفقير رفضها قائلاً : « اذا كنت لا تريده مواصلة عملك في الرابط فاني أحتاج إليك في مكان آخر .. هنا في باريس .. »

ثم حدد لي لقاء معه في يوم ٦ يناير سنة ١٩٦٣ ، وفي ذلك اليوم عاد من المغرب في صحبة الماحي وبعض ضباط آخرين من شرطة المغرب ، وكان من المقرر أن يتناول الجنرال أوفقير العشاء في السفارة المغربية ، وكان على أن أنتظره في الفندق الذي كان سيبقى فيه .

وهكذا أمضيت عدة أيام وأنا أفكـر .. وأحاول معرفة السبب الذي كانوا يطلبونـي من أجله .. وكان في الفندق الذي كنت أقيم فيه بعض الأشخاص الذين كانوا مبعث اشتباـهـي في أمرـهم .. فقد كانوا يتصرفون مثل رجال الشرطة !

وفي كل مرة أخرج من الفندق كنت أشعر بمراقبتهم لي .. وفي النهاية تمكنت من تضليلـهم ، ثم توجهـت فورـاً إلى بعض الأصدقاء - أخوانـي الجزائـريـين - وبفضلـهم تمـكـنت من العودـة إلىـ الفندـقـ فيـ اللـيلـةـ نفسـهاـ لأـخذـ أـمـتعـتـيـ .

ولد شريف

(مدير احدى الشركات ، وكان لفترة طويلة القنصل العام للجمهورية الجزائرية في سويسرا وفي جنيف بوجه خاص)

في عام ١٩٦٣ خلال كشف التحقيق في « المؤامرة » في المغرب كنت مكلفاً من قبل حكومتي تحت رئاسة الرئيس بن بلال أن أقدم العون والحماية إلى صديقنا المهدى بن بركة ، وقد اتصل بي المهدى ابن بركة وأخذت منه موعداً في شقته ، ومنذ لقائنا الأول أدركت أنه يحيا حياة رجل مطارد ، وكان هناك جهاز تحذير مشتبتا في مسكنه ، فدعوه للإقامة في مسكنى ، ولكنه قال لي : « كلا .. ليس في الوقت الحاضر .. ». فطلبت من زملائي في القنصلية أن يقيموا معه في شقته .

وبعد ظهر أحد الأيام اتصل بي تليفوني وقال لي : « يا شريف ، جاءني نباً الآن بأن مأمورى شرطة وأحد مفتشى الشرطة في المغرب هنا حالياً .. أني لاأشعر بالارتياح ! ». فطلبت منه الحضور إلى مسكنى ، ثم ذهبت وأحضرته حيث أقام معى في مسكنى بعض الوقت ، ثم عاد فيما بعد إلى شقته .

وبعد ظهر يوم آخر اتصل بي تليفوني ليقول لي : « أني أشعر بتحركات مريبة أمام شقتي .. فهناك أشخاص يجتمعون ويدربون .. ! ». فأمرت زملائي باحضاره إلى مسكنى . ومنذ الساعة الخامسة كان قد وصل إلى مسكنى . ووصلت حوالي الساعة الثامنة ثم صعدت إلى شقتي ، فوجده مطلاً من النافذة ، ثم قال لي : « انظر هناك سيارة فولفو بداخلها بعض الأشخاص .. ! انهم يتظرون هناك منذ وقت طويل .. ! ». وقد أيدته زوجتي في ذلك ، ثم جلسنا إلى المائدة لتناول العشاء ، ولكنه كان لا يزال قلقاً ، وظل يتردد على

روبير فيريديه

(عضو اللجنة المركزية لجمعية حقوق الإنسان ، ونائب رئيس لجنة اظهار الحقيقة عن قضية المهدى بن بركة)

في عام ١٩٦٣ انضمت إلى شارل أندريليه جولييان ، رئيس لجنة تقصي الأوضاع في المغرب التي شكلت عقب ما كان يسمى « بمؤامرة يولية » .

وتعرفت بعدد كبير من المغاربة في ذلك الوقت وتيقنلت مدى التغوز الأدبي القوى الذي كان يتمتع به المهدى بن بركة ، غير أن الشيء الأكثر أهمية في اعتقادى هو أننى شعرت برغبة ملحة في عمل دراسة دقيقة للملف الخاص بتلك « المؤامرة » ، ثم ثبت لي أن جميع الاتهامات التي وجهت إلى المهدى بن بركة في الوقت الذي حكم عليه بالإعدام غيابياً وإلى أصدقائه - لم تكن تستند إلى أي أساس من الصحة ! وهذا جعلنى أتأكد من أن « المؤامرة » كانت تهدف أساساً إلى التخلص من المعارضين .

وفي اعتقادى أن عام ١٩٦٣ قد أندى بجريمة الاختطاف التي ارتكبت عام ١٩٦٥ .

روبير بيرون
(الوزير السابق)

لم أكن وزيرا في الحكومة الفرنسية عندما وقعت الأحداث التي سأسردها والتي سبق لي اصدارها في كتابي الأخير بعنوان «المذكرات السياسية للعرب الجزائرية».

وكمجرد نائب في البرلمان الفرنسي في مركز المعارضة كنت في المغرب في اليوم الأول من مايو سنة ١٩٥٨ حيث تصادف اجتماع بعض الشخصيات بمناسبة الاحتفال السنوي بذلك التاريخ في المغرب منذ الاستقلال.

وفي اليوم التالي أشار على صديقان - أحدهما مغربي والآخر فرنسي - بقولهما : « ان عليك تبعات في الحياة السياسية الفرنسية . فهل تود أن تشتراك في مناقشة حقيقة مع زعماء حزب جبهة التحرير الجزائرية الذين هنا ؟ » ولما لم أكن عضوا في الحكومة فقد حسبت أن من واجبي قبول هذه الدعوة .

وأعد الاجتماع بأسلوب بوليسي سخيف مثل أساليب « جيمس بوند » لأن قمنا بتغيير تنقلاتنا ثلاثة مرات ، وانتقلنا من شقة إلى أخرى خمس مرات .. وفي النهاية تم اللقاء بيني وبين ممثل حزب جبهة التحرير الجزائرية ، ودار بيننا حديث طويل كان يسوده التفاهم التام .

وفى اليوم الثانى من عودتى الى باريس قابلت وأنا فى طريقى الى الجمعية الوطنية صديقا لي كان يحتفظ بعلاقات متينة مع أجهزة البوليس السرى الفرنسي بسبب الدور الذى كان يقوم به خلال أيام

النافذة ليطل الى الشارع . والسيارة لا تزال هناك .. ولكن ما بين الساعة العاشرة والعاشرة والنصف مساء اختفت السيارة الغامضة بمن فيها ، فأراد أن يعود الى شقته ولكن قلت له : « كلا .. بل أبق هنا .. » ولكنه رفض ثم خرج ، وكان معنا أحد الأصدقاء فاستقل سيارة وأنا أتبعهم بسيارتي . وبينما نحن متوجهون الى « باليه دى ناسيون » توقيف أمام فيلا يقيم فيها صديقنا وقد جاء لأخذ أمتعته والذهاب للإقامة مع بعض الصحاب المقيمين في جنيف القديمة ، ورأيته ينزل من السيارة ، ثم عاد الى الحديقة وفجأة رأيته يعود راكضا ، ثم قفز الى داخل السيارة التي انطلقت على الطريق على الفور ، ثم تبعتهم وكانت تفصلنا سيارة في الطريق في وقت ما .. وأخيراً أفلتنا من المطاردة . وفي الأزقة الصغيرة تبين للسيارة التي كانت تسير خلف سيارة صديقنا أنني كنت أسير في المؤخرة ، فاختفت عن الأنظار . وفي النهاية تمكنت من اللحاق بالمهدي بن بركة خلف « باليه دى ناسيون » وهنذا ترجل من السيارة وقال لي : « ... هل رأيتمهم ؟ هل رأيتمهم ؟ » فأجبت : « نعم .. رأيت بعض الأشخاص ولكنني لا أعرف من هم » فأخبرنى أنهم كانوا يقفون أمام الفيلا التي كان يقيم فيها صديقنا . وأنا شخصيا لم أحظ بهم ، ولكنني رأيت الأشخاص داخل السيارة .

وطلبت منه أن يحضر للإقامة في مسكنى ، ولكنه أجاب : « كلا .. فإننا شخص مطارد في مسكنك » ثم صحبته في سيارته الى المدينة القديمة حيث كان يقيم مع بعض الأصدقاء .

وفي اليوم التالي طلب مني أن أصبحه الى المسؤولين في جنيف نكى يطلب تصريحا وحصل على ما أراد . وعاد الى شقته ، وكان زملائى الثلاثة يلازمونه دائمًا لحمايته . وكانت جميع تحركتاته تتبع بحضورهم ، وحتى عندما كان يسافر الى الخارج كان دائمًا يجد من يستظره عند وصوله في المطار !

الاحتلال ، وقال لي : « روبيير .. انك لن تكون رجلا سياسيا جادا ..
قادرا على المخابرات الفرنسية لديها تقرير شامل عن معادئاتك مع
زعماء حزب جبهة التحرير الجزائرية .. ! أليدك الآن صورة واضحة
للوضع الذي أنت فيه ؟ ». .

ولكن صديقى هذا كان مخطئا في حكمه ، اذ بعد ثلاثة أسابيع
عينت وزيرا ! ..

على أن الأمر الذي أود أن أذكره هنا - وهو ما سبق أن كتبت
عنه - هو ايمانى العميق بأن الأجهزة السورية المغربية والأجهزة
السورية الفرنسية كانت فى عام ١٩٥٨ - ولست أعلم ماذا كانت
عليه فى عام ١٩٦٥ - على صلات وثيقة للغاية بعضها بعض .

الجزء الأول

المسؤوليات

عرض موهرز للأحداث

في يوم الجمعة الموافق ٤٩ من أكتوبر سنة ١٩٦٥ وفي الساعة ١١٠ صباحاً وصل المهدي بن بركة إلى مطار أورلي قادماً من جنيف حيث كان يقيم فيها ، وكان قد اتصل تليفونياً في اليوم السابق بالداعي فيليب بيرنييه أحد محرري الجرائد مؤكداً أنه سوف يحضر الغداء الذي كان مقرراً أن يتناوله على حسب زعم بيرنييه - في بار « ليب » بسان جيرمان دي بريه في صحبة المنتج السينمائي فرانجو وشخص آخر يدعى جورج فيجيون الذي تم اختفاء ماضيه الكثيف عن المهدي بن بركة .

وكان الغرض من الاجتماع هو مناقشة مشروع فيلم بعنوان « باستنا » يعالج قضية التخلص من الاستعمار ، وينتهي بمشاهد عن افتتاح مؤتمر القارات الثلاث في كوبا . وكان بيرنييه وفيجيون قد قابلاه من قبل في القاهرة وفي جنيف وفاتحاه بشأن هذا الموضوع ، فالمشروع الذي قدماه له كان يهمه ، وما عدا التواحي الأخرى المتعلقة بالفيلم كان مقرراً أن يكون فرانجو مسؤولاً عن الالام وهو الذي حضر المهدي بن بركة مقابلته .

غير أنه في الواقع لم يكن مشروع الفيلم سوي فخ يرمي إلى القاء الطعم إلى ابن بركة !

وكانت أولى الاتصالات الرامية إلى اختطاف المهدي بن بركة قد بدأت منذ شهر أبريل عام ١٩٦٥ بمعرفة « شتوكي » رجل البوليس المغربي ورئيس الجهاز Cab-1 (أو ادارة المباحث المغربية)

وبعد الظهر من اليوم نفسه توجه لوبيز وبوشيسش الى مطار أورلي ، وفي الساعة ١٧١٩ - كما ثبت من سجلات مكتب البريد والبرق بالطّار - طلبا رقم ٢٠٣ - ٢٠١ في الرباط ، وحاولا الاتصال بأوفicer في وزارة الداخلية والأمن الوطني ، ونظراً لعدم وجود أوفicer بمكتبه في تلك الساعة فقد أبلغوا الكابتن ابن سليمان أنهما قد حصلا على « الطرد » ، وأنه يجب على أوفicer أن يستقل أول طائرة متوجهة الى مطار أورلي ! وفي الساعة ٢١٠٠ تمكن لوبيز من الاتصال شخصياً بأوفicer في مدينة مكناس ، ثم أخبره بلهجة جريئة عن نجاح مهمته ، وحثه على السفر الى باريس . وأوضح أوفicer أنه لابد من استشارة « الرئيس » أولاً في فاس ، ويقصد بذلك الملك الحسن الثاني الذي كان في فاس وقت ذاك .

وفي الساعة ٢٢٣٠ من اليوم ذاته (الجمعة) اتصل أوفicer بلوبيز في شقتة ليبلغه وصوله في اليوم التالي .

وفي يوم السبت الموافق ٣٠ من أكتوبر وصل دليمي مساعد مدير الأمن الوطني المغربي وأوفicer الى مطار أورلي - الأول كانقادماً من الجزائر في الساعة ١٤٠٠ والآخر من الدار البيضاء في الساعة ١٧٠٠ . وكان في انتظار أوفicer بالمطار لوبيز وبصحبته « شبوكي » ومرافق يقال انه الطالب « الماحي » من أقارب الوزير المغربي ومفتش الشرطة السابق بمصلحة الأمن الوطني المغربي ، والذي لا يزال يقبض مرتبه حتى الآن تحت ستار « بعثة دراسية » . واصطحب لوبيز الجنرال أوفicer الى فيلا بوشيسش في فونتناي لو فيكومت ، ثم تركه هناك في الساعة ١٨٠٠ ليلحق بعائلته في ضاحية « لواريه » .

وبعد قليل توجه أوفicer دليمي ومرافقهما الى شقة لوبيز في « أورموي » في غيابه ، ولكن بموافقته . . . ثم عاد لوبيز فجأة من

والذى كان موFDA الى باريس من قبل الجنرال أوفicer ، والذى ادعت السلطات الفرنسية جهلها لهوايته .

وفي يوم ٢١ من ابريل وصل أوفicer شخصياً الى باريس ، وحضر اجتماعاً تمهدياً لاعداد عملية الاختطاف .

وبعد أن ترك أمتعته في شقة بعض أصدقائه في شارع جان ميرموز توجه المهدى بن بركة مقابلة طالب يدرس التاريخ في فرنسا ويدعى « الأزموري » في ميدان « رون - بوان » المطل على الشانزليزيه ، والذى كان يريد اشراكه في تنفيذ الفيلم .

وذهب كلاهما في سيارة أجرة الى مخزن الأدوية الذى بشارع سان - جيرمان - دى بريه حيث وصلا قبل الموعد المحدد ، وأخذ المهدى بن بركة ومرافقه في قطع الوقت بالتمشى على رصيف الشارع ، وفجأة ظهر سوشون كبير ضباط الشرطة أمام المهدى ابن بركة وأبرز له بطاقته ، ثم طلب من المهدى أن يصحبه في سيارة الشرطة على حين قام المساعد فواتوه ببعاد الأزموري ثم أمره بالانصراف . . . واستجابة كل من المهدى بن بركة والأزموري لضابطي الشرطة . .

واقتيد المهدى بن بركة - الذى كان جالساً في المقعد الخلفي لسيارة الشرطة بين سوشون ولوبيز وهو قاطع الطريق - بوساطة سوشون الذى كان يوجه لوبيز الجالس الى يمينه ، حتى بلغت السيارة فونتناي - لو - فيكومت متوجهة الى الفيلا التابعة لل مجرم السابق « بوشيسش » ، حيث استقبله وهو مرتد سروالاً وقميصاً وحملة . .

وبقي المهدى بن بركة أسيراً لعصابة بوشيسش . . وقد قرر سوشون وفواتوه أنهم لم يتحققوا هواية أي عضو من أعضاء العصابة

لواريه ووجدهم هناك . . . وحضر بعض الغرباء لمقابلة أوفicer في سيارة تحمل لوحة « هيئة سياسية » .

هذا ولم يشغل أوفicer الغرفة التي كانت قد حجزها له الماحي في فندق « روالي - مونسو » . وفي أثناء الليل قام بجوله بالسيارة ، ثم صحبه لوبير إلى مطار أورلي حيث استقل الطائرة المسافرة إلى جنيف في الساعة ٨٠٨ على حين عاد دليمي وشركاؤه المغاربة إلى المغرب في أثناء النهار .

وفي صباح اليوم التالي (الاثنين) فعل بوشيش الشيء نفسه دون أن يتعرض أحد طريقه مطلقا .

وفي الأول من نوفمبر عاد دليمي - وفي اليوم التالي أوفicer - إلى باريس كأنه لم يحدث أى شيء . بل وحضر حفل استقبال في يوم ٣ نوفمبر كان قد أقيم بوزارة الداخلية الفرنسية بمناسبة انتهاء برنامج التدريب الذي تلقاه محافظو الأقاليم المغربية . وكان روجيه فراري في الحفل مع أوفicer . وبعد بعض ساعات كان المغاربة هم الذين كانوا يستقبلون عددا من الشخصيات الفرنسية في فيلا « سعيد » ، مقر السفير المغربي في باريس . وفي نهاية حفل العشاء تلقى الماحي بناء على طلب « باليس » - من أوفicer ، عن طريق دليمي مبلغ عشرة آلاف فرنك بفضل استطاعه المترددة الهرب ، وفي صباح يوم ٤ من نوفمبر عاد أوفicer دليمي على عجل إلى المغرب .

ولكن . . . ماذا حدث للمهدى بن بركة ؟ ليس أحد في الأوساط الرسمية الفرنسية يرتتاب في الاغتيال . . . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقد في يوم ٢٢ من فبراير سنة ١٩٦٦ تحدث الجنرال دي جول عن « اختفاء » ابن بركة وليس عن « اختطافه » ، وفي أثناء المحاكمة الأولى كان « بابون » قائد الشرطة الفرنسية يشير إلى السيدة حرم المهدى بن بركة باسم « أرملة » !

السر القائم

كان المهدى بن بركة يحمل جواز سفر دبلوماسيا صادرا عن الحكومة الجزائرية ، وكان لديه موعد مع بيرنييه وفريجنون وفرانجو أمام مخزن الأدوية طبقا لما ظل يردد الأزموري ، فكيف اذن عندما استدعاه سوشون تبع المهدى رجل الشرطة دون أن يبرز له جواز سفره الدبلوماسي ودون أن يعترض على أنه لن يتمثل إلا باستدعاء رسمي ؟

وإذا كان علينا أن نصدق أقوال سوشون الأولى فإن المهدى بن بركة قد تبع رجل الشرطة إلى السيارة الرسمية - والتي لابد أن قادته إلى حتفه - على الرغم من أن سوشون لم يوجه إليه أي سؤال ، ولم يوجه له أى بيان ، بل ولا أية إشارة إلى الغرض من هذا الاستدعاء !

كذلك فإنه طبقا لأقوال سوشون ، بينما كان متوجها نحو السيارة بصحبة المهدى بن بركة راضيا - سأله رجل الشرطة عندئذ فقط : هل بقاوه في باريس لم يكن مبعشه إلا للأعمال الفنية ؟ . . .

وتكتفى هذه الحقيقة هدم الجدل الذي أقامه سوشون من أنه ظن أنه كان يصطحب المهدى بن بركة إلى أحد الاجتماعات السياسية مع كبار الرسميين المغاربة . . .

ومما يفند هذا الجدل أيضا تلك الاعترافات التي أدلى بها فواتحه الذي قرر أنه عند وصوله إلى فونتناي - لو - فيكومت سمع

الغريب هيبة ضابط الشرطة الذى كان عليه أن يضمن له الحماية الفرنسية .

(ب) ان التدخل الجنائى من جانب الضابطين التابعين للشرطة القضائية كان من المقدر - فى نظر المحرضين على الاختطاف - ان يشير فضيحة فى فرنسا ، ومنذ ذلك الحين كان عرضة لأن يشل أي تحقيق ، بل ويؤدى الى كتم الأمر ، الا أن ذلك لم يحدث لحسن الحظ ..

ومع ذلك فقد كان لاشتراك الضابطين فى الجريمة تأثير قاتل فى عزلة التحقيق بصورة خطيرة ، حيث انه منذ اللحظة التى وجه الاتهام فيها الى كل من سوشون وفواتوه ، وبناء على نص قانون (وقد ألغى حاليا لحسن الحظ) ، فقد أعيق القاضى زولنجر قضائيا عن ارسال لجنة قضائية الى الشرطة القضائية ، وبذلك اضطر الى اجراء التحقيق دون معاونة من الشرطة .

ثغرات في المحاكمة الأولى

ان المحاكمة الأولى التى تم اعدادها بصورة رديئة بالتحقيق مع شخص واحد فقط - لم تلق اى ضوء جديد على جوهر القضية ، اى على اغتيال المهدى بن بركة واختفاء جثته حيث ان سر الجريمة قد اخفى بعناية ، فلم يخرج عن صمته سواء منفذو عملية الاختطاف او السلطات المقربة او اى من المسؤولين الفرنسيين الذين لا يمكن ان يكونوا على غير علم بها !

اما فيما يتعلق بالشهود الذين أدلوا بشهادتهم بخلاف اليهود فان عددا كبيرا منهم اما تظاهر بجهله عن الواقع ، واما ادللي ببيانات كاذبة ! فالتفاصيل الوحيدة التى لم تنشر من قبل -

القتلة يهمسون بعضهم الى بعض بأنه اذا كان من الضروري طمأنة ابن بركة (وهل كان الأخير مستيقظا ومتتبها فقط ؟) لم يكن أمامهم الا أن يخبروه بأنهم قد أحضروه هناك لمساعدته على الهرب من محاولة مدبرة ضده !

ذلة لسان ٠٠٠

فى أحد أقوال فيجون - على أقل احتمال ، حتى لو لم يكن ذلك حقيقةا قرر أن أوفicer قد عنف « المشردين » بشدة لأنهم نسوا الأزمورى على رصيف سان - جيرمان - دى - بريه !

على أنه من المحتمل تماما أنه لو كان سوشون قد استندى طالب قسم التاريخ فى الوقت الذى استندى فيه المهدى بن بركة ما كانت هناك أية قضية ٠٠٠ على الأقل وما كان لأحد أن يعلم شيئا عن اشتراك رجل الشرطة الفرنسيين فى عملية الاختطاف وتصرفهما كرجل شرطة يدعىان صفتهم ويستخدمان سيارة الشرطة !

ضربة معلم

ان تجنيد ضابط شرطة فرنسيين للاشتراك فى عملية الاختطاف كانت « ضربة معلم » من جانب المحرضين عليها لعدة أسباب :

١) لانه قبل كل شيء بدون تدخلهم يتعدى تنفيذ الاختطاف فالمهدى بن بركة ، لارتباه الشديد نظرا لطاردته لمدة طويلة ، ما كان ليتبع أى غريب داخل أية سيارة مطلقا لو لم يكن مثل هذا

المحاكمة الأولى قد أضافت إلى العناصر التي قدمها التحقيق من قبل ، محسولاً وأفرا للغاية من الحقائق الإضافية : فقد كان ذلك ، على المستوى الفرنسي هو المساهمة الإيجابية الوحيدة لتلك المناقشات العقيمة التي استغرقت أربعين جلسة ، والتي بفضلها استطعنا أن نكمل الكتب الأول في مسلسلة « جمعية الشهادة المسيحية » عن قضية المهدى بن بركة بوساطة تلال من الواقع التي أمكن اثباتها قانوناً .

وإذا لم نتقدم خطوة واحدة في اتجاه البحث عن حقيقة ما يخبئه القدر للمهدى بن بركة المختفى فإن الأسف العميق الذي نشعر به تجاهه قد تم تعويضه إلى حد ما بالتقدير الذي جرى في كشف النقاب عن بعض المسؤوليات الفرنسية : أفلبس الواجب الأول هو أن يقوم المرء « بالكتنام أمام عتبة باب منزله هو ؟ ». لم يكن يتهم قبل كل شيء أن تقوم بمحاسبة أولئك الذين يحكموننا والذين بسبب أخطائهم لوثوا شرف فرنسا ! ..

وإذا كنا نصر على أن نذكر المسؤوليات تفصيلاً فإن ذلك من أجل القضية التي حاولت فيها العدالة – والتي كانت مطالبة بتقديم المقدم/الدليري وشركائه المتهمين للمحاكمة – حاولت أن تنسى أو تقلل من أهمية الدور الذي قامت به الأجهزة الفرنسية وألا تبدي اهتماماً الا بال مجرمين المغاربة وحدهم ! ..

ومن ناحية أخرى فإنه لا يمكننا بطبيعة الحال أن نعي اهتماماً تلك المناورة التي قام بها المتهمون المغاربة الذين جاهدوا – في محاولة لتربيئة أنفسهم – للتظاهر بأن قضية المهدى بن بركة إنما هي « مسألة فرنسية داخلية » وأن عملية الاختطاف قد نفذت لحساب الأجهزة الفرنسية وحدها !

والتي كشفت عنها جلسات المحاكمة – قد عملت على تعقيد المفهوم بدلاً من تبديله ! وبدلاً من أن تقدم التأكيدات والحقائق أدخالت هي على اظهار المؤامرة الفازا إضافية ! .

كما أن النظام غير المنطقى دائماً والذى ظهر بموجبه الشهود أمام المحكمة والانتقادات والتوبيخات المتكررة من جانب رئيس المحكمة والوقت الذى كثيراً ما كان يضيع سدى في أمور تافهة ، وعدم وجود أية معاونة من جانب الحكومة – حيث انه لا رئيس الوزراء ولا وزير الداخلية تقدم للشهادة أمام المحكمة ولم يجيء على الأسئلة المكتوبة والمناقشة – كل هذه الظروف قد ساهمت أيضاً في إضافة المفهوم إلى القضية التي كان يسودها التعقيد أصلاً ! ..

وفي جاسة المحكمة استنكر محامو المدعى العام التقصير الذي عاق البحث عن الحقيقة فقد استنكر بشدة كل من المرحوم ثورب رئيس هيئة المراقبة والاستاذ بروجيه الأسرار الكثيرة : « سر الدفاع الوطني ، وسر المهنة ، والسر الدبباوماسي » – تلك الأسرار التي تشبه « الترابيس المثبتة على الأبواب ، ولكن ليس لدينا مفاتيحها ! » ..

كما أن الوصول المفاجيء للدليري (أحد الجناء الرئيسين) والذي أدى إلى تأجيل المحاكمة في اللحظة التي كانت المحكمة ستنطق بالحكم ، وكذا أسلوب الانكارات المنظمة التي اتبعها هذا المتهم خلال التحقيق التكميلي والذي نجم عنه رجوع المتهمين الآخرين في أقوالهما – كل ذلك دفع بالقضية إلى أعلى مراحل المفهوم ..

ومن الجهة الأخرى بالنسبة للمؤامرات والتواطئ على المستويات المختلفة من النظام الهرمي لأجهزتنا الإدارية – فإن

المخابرات الفرنسية سوف تتستر عليه «مهما فعل !» وحتى صباح يوم ٤ من نوفمبر عام ١٩٦٥ - كما ذكر بوفيه ، مراقب الشرطة العام أمام المحكمة - عندما سقط لوبيز في يده - كان لا يزال يعتمد على تدخل وكالة المخابرات الفرنسية لإنقاذه .

وكان لوبيز في الوقت ذاته صديقا حمياً للمسردين «ذوي الماضي المشبوه سواء في ميدان الجريمة أو على مستوى نشاط البوليس السرى . وكان جورج بوشيسيش صديق الطفولة ، ونظراً لقرب المسافة بين أورموي (حيث مسكن لوبيز) وفونتناني - لو - فيكومت (حيث يقيم بوشيسيش) صارت بينهما علاقات عائلية متينة للغاية .

وتعرف لوبيز بالمدعو جورج فيجون بفضل بوشيسيش (الذي عن طريقه أيضاً تعرف لوبيز بشبكة ضخمة من الأشقياء مثل باليس، ولو - نى ، ودوبيل ، وجو عطية وغيرهم ، وكما اعترف بنفسه في أحد تقاريره إلى لو - روى فقد كان : «على علم بالأوساط المختلفة في العاصمة الفرنسية» وخاصة «البعض من شركائه» ومن كان من الممكن أن يشيروا للجنرال أو فيير بعض المشكلات التي كانت سهلة التأثير تماماً كتلك المشكلة التي كانت تتضمن القضاء على المهدى بن بركة مثلاً ، باتباع إجراءات غير مستقيمة .

وكان لوبيز كذلك يعمل مخبرا لدى «الفرقة الدولية» فمنذ شهر نوفمبر عام ١٩٦٢ وبناء على طلب رئيس الوزراء قامت وكالة المخابرات الفرنسية باعارة خدمات مندوب أولى «المحترم» - للتعاون مع جهاز مكافحة المخدرات ، وطبقاً لأقوال المقتضي بوفيه فإن لوبيز سرعان ما أقام مع ضباط «الفرقة الدولية» علاقات أوثق مما هو متوقع عادةً بين ضباط الشرطة والمخبرين .

ويجب لا يغيب عن ذهاننا مطلقاً أن هذه الأجهزة قد تواطأت سواء علينا أو سراً مع المحرضين الحقيقيين ، أولئك المحرضين في الرباط ، والذين يقف أحدهم اليوم في قفص الاتهام .

لوبيز ذو «القبعات المتنوعة»

إن المحاكمة الأولى قد أثبتت قبل كل شيء أن أنطوان لوبيز كان - كما أكد المرحوم الأستاذ ستيب في مرافعته - «الحلقة الرئيسية» في القضية أو «العقل المفكر» - كما ذكر الأستاذ بروجييه - وكان شخصاً أكثر تعقيداً وأكثر نفوذاً من مجرد محبر ... فقد كان على «علاقات لا حصر لها وصلوات كثيرة» ، كما قال عنه ماكس فيرينيه مدير الشرطة القضائية الذي أضاف قائلاً : «أن لوبيز إنما هو من ذلك النوع من المخبرين السريين الذي لا يمكن أي أحد أن يعرف تماماً إلى أي نوع يتبع ...» . وكان لوبيز - في رأي بابون كبير مفتشي الشرطة - يخلق «غموضاً لا نهاية له ... انه لابد أن يكون ساحراً ... فإن هدفه هو تعقيد كل شيء ... !» .

وقد لاح كولون مفتش الشرطة الذي يعمل بمطار أورلي ، والذي يعرفه جيداً بأن لوبيز كان يرتدي «قبعات متنوعة» : فإنه في المطار رئيس إدارة في شركة الطيران الفرنسي (إيرفرانس) على بالحماس ، واسع الحيلة وكريم ، ويعمل تحت اشرافه قرابة خمسمائة شخص ! وهو «مندوب محترم» و «حسن العشر» من الناحية النظرية ولكنه في الحقيقة مخبر في وكالة المخابرات الفرنسية ، وبهذه الصفات كان يظن كما قال كولون - أن في استطاعته الافادة من «حصانة معينة» ، وكان مقتنعاً من أن وكالة

الفترة من ٢ أبريل الى ٣٠ من سبتمبر عام ١٩٦٥) كان يحل ضيفا على الجنرال أوفقيير في شقته الخاصة . وقد تقدم أو فقيير شخصيا بطلب إلى فراري وزير الداخلية الفرنسية للاستفباء عن لوبيز من أجل العمل في سلاح الطيران الملكي المغربي ، الأمر الذي لم يكن على حسب أقوال لوبيز سوى « حجة لاقامته الدائمة في المغرب ! » .

وكان لجورج بوشيسيش رفيق لوبيز صلات في المغرب لا تقل في مثانتها عن صلات لوبيز .

ففي أوائل شهر يوليو عام ١٩٦٥ كان الاثنان ا لوبيز وبوشيسيش) يقيمان في الدار البيضاء ، وكانا يعاونان مدام بوشيسيش بمساعدة الماحي (الخادم الأمين لـأوفقيير) في شراء فندق وبمساعدة باليس كان بوشيسيش يأمل أن يتمكن بموافقة أو فقيير ، من إنشاء سلسلة من « البيوت المغربية » في المغرب .
ان لوبيز كان في الحقيقة يؤدي دوراً مزدوجاً بين المغرب وفرنسا فكان يتتجسس على المغرب لحساب وكالة المخابرات الفرنسية في انتظار اللحظة لوقوع تحول فجائي مما يسمح له بأن يصبح مخبراً لوكالة المخابرات الفرنسية في المغرب ، ولم يتتردد مطلقاً في تفتيش حقائب وأمتدة كبار المسؤولين المغاربة وتصوير المستندات والوثائق التي كانوا يحملونها ، غير أنه في الوقت ذاته كان الأداة التي اختارها الجنرال أوفقيير « للتقارب » من المهدى بن بركة .

ولكي يخفى لوبيز لعيته بين أجهزة المخابرات الفرنسية والمغربية كان له مقدرة نادرة في اكتساب ودعم ثقة الأجهزة المغربية – والى جانب ذلك في تزويد الأجهزة الفرنسية بالمعلومات الخاصة بالمؤامرة التي كانت تحاك ضد المهدى بن بركة ، فقد كانت لعيته تتلخص في أنه كان يقدم ما هو كاف ليؤكد أنه يؤدى دوره كمخبر فقط .

وهكذا كانت تربطه صلة الصداقة مع ضابط الشرطة سوشون ، رئيس « الفرقة الدولية » ومساعده فواتوه . وتحت الحاج سوشون قام لوبيز وبوشيسيش بشراء بعض الأسهم وأصبحا مالكين لفندق « لونييك – هوتيل » بشارع مونبارناس الذي كان يعمل فيما بعد كمكحنة تجارة المخدرات . وقد استخدما مديرًا للفندق كان هو أيضاً يعمل كمخbir للقطاع ، كما كانا يؤويان فيه أخيانا بعض المشتبهين وطريدي العدالة : الماحي والرجل الغامض شتوكي .

ان أهمية الدور الذي كان يؤديه « لونييك – هوتيل » تأكّدت في أثناء المحاكمة عند استجواب سوشون عن هذه الواقعه بوساطة الأستاذة ميشيل بوفيلار ، عضو هيئة النيابة العامة ، فقد سمع رئيس المحكمة لسوشون بعدم الاجابة بحجة أن أي بيّانات يدلّى بها « قد تكلف حياة أشخاص كثرين !! »

وفضلاً على ذلك فقد كانت علاقات العمل بين لوبيز وسوشون وفواتوه علاقات متينة لدرجة أنه لم يكن لأى منهم أن يرفض طلباً للآخر .. ومن المعروف به أن لوبيز كانت وكالة المخابرات الفرنسية مصرحة له بالتعاون مع « الفرقة الدولية » وليس من المستبعد أن يكون قد صرّح لسوشون وفواتوه بوساطة الجهاز الذي يعملان به بالتعاون مع وكالة المخابرات الفرنسية .

ومن ناحية أخرى فإن لوبيز كان يرتدي « قبعة » المغاربة .
 فهو صديق الجنرال أوفقيير وأمين سره ، وهو لم يحاول انكار ذلك .
 وأمام المحكمة وقف ثورب رئيس هيئة المرافعه ليدلّى بهذه الشهادة التهكمية « انه لأمر يستحق الذكر والاستشهاد به أن يقوم بانتزاع الثقة الى حد الحصول على ثقة شخص مثل أوفقيير ، وهو الوسوس بطبيعته . وأن يقوم بانتزاع ثقته الى درجة الحصول على سر من أسرار الدولة » ، فعندما كان يقيم في المغرب ، بمفرده او مع عائلته (وقد قام بزيارتها ثمان مرات في

وفضلا على ذلك فقد كان لوبيز ولو - روى (الذى يعرف أيضا باسم فينفيل) صديقين حميمين ، وقد قال الجنرال جاكىيه المدير السابق لوكالة المخابرات الفرنسية أمام المحكمة :

« ان الصداقة والزمالة اللتين كانتا تربطان لو - روى ولوبيز لم تكونا تتفقان مع مسؤوليات أى ضابط مختبر ! » .

وبالاضافة الى ذلك فان لو - روى باسم نجاحه فى الترتيب الهرمى لوكالة المخابرات الفرنسية حيث أصبح بتعيينه « رئيس قسم البحث» رئيسا للجهاز السابع المكلف «باجراءات التحريات» تحت امرة الكولونيل بومونت مدير ادارة التحقيق ، لم يعد « لو - روى» يتحتم عليه أن يكون الضابط المختبر التابع للوبيز ، فانه لم يظل كذلك الا بسبب التدهور الفاضح فى اجراءات الجهاز بأكمله ، فهل اتبع الاجراء لانجاح عملية اختطاف المهدى بن بركة ؟

ان الاحساس بالاعفاء من العقاب الذى كان يداخل لوبيز فضلا على الحقائق الكثيرة التى ظهرت خلال جلسات المحكمة - انما تقدم فى الحقيقة الدليل على أن «المندوب المحترم» لم يكن سوى أداة فى يد وكالة المخابرات الفرنسية ، وأنه كان يتمتع هناك بضمائر قوية . وكان مجرد حلقة فى توافق خفى من جانب أجهزة الشرطة والمخابرات كانت تربط باريس بالرباط بمحاجة «التعاون الفنى» ..

١١) دور وكالة المخابرات الفرنسية

(أ) قبل الاختطاف

ان المعلومات الأولى بالنسبة لمحاولات التقرب من المهدى بن بركة من جانب أوفقير كانت معروفة لدى وكالة المخابرات الفرنسية من خلال مذكرة من جهاز التحريات الخاصة التابع لها بتاريخ ٣٠ من أبريل عام ١٩٦٥ ، فقد جاء في هذه المذكرة ما يأتى :

«ان الجنرال أوفقير وزير الداخلية المغربي الذى وصل الى باريس فى يوم ٢١ من ابريل يحمل تكليفا من الملك بالاتصال بالمهدى بن بركة فى محاولة لاقناعه بالعودة الى المغرب مع رفاقه ، فقد قرر الملك الحسن الثانى فى الحقيقة أن يرفع اجراءات الحكم الغيابى الصادر ضد زعيم حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية» .

ان مثل هذه المذكرة لم يعلن عن وجودها الا خلال المحاكمة الأولى وذلك بوساطة الكولونيل بومونت مدير ادارة التحقيق بوكالة المخابرات الفرنسية ، والذى ذكر بالحرف الواحد أن «هذه المعلومات كانت محل فحص وتحقيق دقيق للغاية» ، ثم أضاف الكولونيل بومونت :

«كان الجهاز الذى يعمل فيه لو - روى - فينفييل قد استشير بوجه خاص ، وقد أكد احتمال هذا التحقيق» .

غير أنه لا مدير وكالة المخابرات الفرنسية ولا وزير الجيش قد كشف عن أسماء «الشخصيات» المذكورة والتي يمكن أن تكون أسماء المحرضين على ارتكاب جريمة الاختطاف ، ولكن الشيء الأكشن خطورة هو أن وكالة المخابرات الفرنسية لم تقدم في ذلك الوقت المعلومات التي تلقتها بتاريخ ٣٠ من أبريل ١٩٦٥ سواء إلى أجهزة الشرطة المختلفة أو إلى رئيس الوزارة .

التقرير المؤرخ في ١٧ من مايو عام ١٩٦٥

وبعد ذلك بقليل - من يوم ٨ مايو إلى ١٠ من مايو - سافر أنطوان لوبيز إلى المغرب ، وعند عودته في يوم ١٢ من مايو قدم تقريرا إلى لو - روى - فينفيلل وذكر أن أوفicer قد أسر إليه «خطته الرامية إلى استرداد المهدى بن بركة» ورغبتها في «وضع حد لوقف بن بركة وذلك باتباع وسائل غير مستقيمة» .

وفي المحكمة حاول لوبيز أن يوهم بأن الأمر لا يمكن أن يكون سوى « مجرد عملية استرداد في قلب المجتمع المغربي » ، كما حاول لو - روى أيضا أن يعلق على معنى الكلمة «مستقيمة» بأنها تدل على «العمل بموجب القاعدة» : فإذا لم يكن في الإمكان مناقشة مسألة عودة المهدى بن بركة إلى المغرب بالطرق الرسمية أو الدبلوماسية فإنه يجب - على حسب قوله - محاولة طرق اتصال أخرى ، مما تلك الطرق ؟ إن بيرونييه (الذي يقوم بحماية شتوكي) أوضح أمام المحكمة أن الأمر في الحقيقة لم يكن سوى «اختطاف» المهدى بن بركة وذلك لاحضاره وجهها لوجه أمام الملك .

في تلك اللحظة كان المهدى بن بركة في الجزائر للإعداد للمؤتمر الأفرو - آسيوي الذي كان مقررا عقده في تلك المدينة في نهاية

ومع ذلك لم يحدث إلا بتاريخ ٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٦ أن قرر وزير الجيش أخيرا أن يقدم تلك المعلومات إلى محكمة الجنائيات العليا وذلك بناء على الطلب العاجل من النائب العام .

والى جانب هذه المعلومات كانت هناك معلومات أخرى كشف النقاب عنها فيليب بيرونييه منذ بدء التحقيق والتي كان قد حصل عليها من «شتوكى» الرجل الغامض : «أن بعض الشخصيات المغربية ذات النفوذ كانت تحت تصرفها مبالغ ضخمة من المال للتحقق من شخص المهدى بن بركة (٠٠٠) فقد حضر الجنرال أوفicer إلى باريس خصيصا لتجنيد بعض الأشقياء ، وبالفعل عقد اجتماع لهذا الغرض في فندق «كريبيون» حضره هو ومعه بعض «الشخصيات الفرنسية» .

فما الذي كان يقصد بعبارة «التحقق من شخص ٠٠٠ » ؟ و «الاتصال بالمهدي بن بركة لفتح الحوار ٠٠٠ » ؟ هذا ما لمح به الجنرال جاكينيه المدير العام السابق لوكالة المخابرات الفرنسية ٠٠

كما ان احدى قصاصات الورق الخاصة بادارة المباحث العامة التابعة للأمن الوطني ، والتي لم تتعد على أية حال نسخ اقرارات فيليب بيرونييه التي أدى بها أمام التحقيق ونشرتها جميع الصحف انما تلخص بصورة أدق خطة أوفicer : «مواصلة العمليات الأولى لجس النبض بهدف تنفيذ خطة اختطاف المهدى بن بركة ! »

وفي المحكمة حيث الأستاذ ستيب الجنرال جيبيوه ، المدير الجديد لوكالة المخابرات الفرنسية ، على أن يكشف النقاب عن الشخصيات الفرنسية التي عهد إليها أوفicer خطته الرامية إلى التقرب من المهدى بن بركة . وقد رد الجنرال جيبيوه بأنه على استعداد لأن يفعل ذلك ولكن بشرط عدم افساد سر الدفاع الوطني ! فقام بيروز ، رئيس المحكمة بتشجيعه بأن ذكره بأن السر المذكور قد أبعد فيما يتعلق بقضية المهدى بن بركة .

ومن ناحية أخرى أكد الكولونيل بومونت مدير إدارة البحوث ، وهو في الوقت ذاته رئيس لو – روى أمام المحكمة : « انه لم يكن يعلم شيئاً عن هذا التقرير ! »

ولما كان يجب على «المندوب المحترم» أن يسافر ثانية إلى المغرب فقد اقترح لو – رو أن يزود بالتعليمات نظراً «لطبيعة العلاقات الودية التي يحتفظ بها مع الجنرال أوفقير» . وكان الغرض من تلك التعليمات هو «توجيه التحريرات التي يقوم بها متدوبه وخاصة لدى الجنرال أوفقير» وأن من أهدافها «الخطط المنسوبة إلى الجنرال أوفقير لاسترجاع المهدى بن بركة وذلك باستخدام وسائل غير مستقيمة ! » .

ورداً على ذلك تلقى لو – رو من القسم ٣ (أ) التابع لوكالة المخابرات الفرنسية الذي يشرف على الشؤون العربية مجموعة الاستئلة التي كان قد طلبها ، إلا أن الشخص المجهول الذي وضع هذه الاستئلة لم يكن يريد بلا شك أن يأخذ التهديدات التي تحيق بالزعيم المغربي محمّل الجد ، وكما ذكر لو – رو في الاستئلة (وعددتها واحد وعشرون) «قد أغفلت الجانب الخاص ببنيات الجنرال أوفقير تجاه المهدى بن بركة ، وإنها لم تهتم إلا بالمسائل السياسية والاقتصادية» والتي كانت يدخل فيها على آية حال موقف ابن البعض الآخر – وهو الذين لا يقبلون المساومة – كان يؤثربقاء ركبة السياسي .

وعندما وردت إجابات لوبيز عن الاستئلة في أوائل شهر يونيو وجد أنها لم تذكر شيئاً – كما زعم الجنرال جاكينيه – عن التهديدات التي تحيق بالزعيم المغربي التقدمي .

وعلى آية حال لم تودع هذه الاستئلة مطلقاً ملف التحقيق ولا الإجابات (باستثناء إجابة واحدة) التي أدلّ بها لوبيز .

شهر يونيو ، وكان ملك المغرب من جانبه يستعد لمقابلة الرئيس أحمد بن بللا في يوم ١٦ من مايو في بلدة السعيدية على الحدود الجزائرية – الغربية . وقد علم لوبيز – حول هذه النقطة أيضاً – أسراراً من أوفقير : «ان الجنرال أوفقير كان يظن أنه في أثناء اللقاء بين بن بللا وجلاله الملك – سوف يقترح ابن بللا طرد المهدى بن بركة ويطلب شيئاً آخر في مقابل ذلك ، ومهمماً كان الأمر فقد حضر الجنرال أوفقير إلى الاجتماع وكله ريبة ، وكان مقتنعاً بأن ابن بللا سوف يسعى إلى «خداعهم» .

ولابد أن ترتبط هذه الاعترافات التي كشفت عن الحقيقة باعتراف أدلّ به فيليب بيرنييه ، فقد علم – وذلك عن طريق شتوكي كالعادة – أن هناك خطة لاققاء القبض على المهدى بن بركة في أثناء اجتماعات المؤتمر الأفرو – آسيوي في الجزائر ..

ثم مضت مذكرة لوبيز تقول : انه في الوقت نفسه كان على أوفقير (قبل اتخاذ أي إجراء بلا شك) – أن «يتربّص نتائج بيان جلالة الملك الذي يوافق فيه على تشكيل حكومة اتحادية وطنية» . وكان الهدف من هذا البيان هو بث الشقاق في صفوف حزب المهدى بن بركة (الاتحاد الوطني للقوى الشعبية) إذ أن بعض أعضائه كانوا يرغبون في الاشتراك في مثل هذه الحكومة على حين كان البعض الآخر – وهو الذين لا يقبلون المساومة – كان يؤثر البقاء ركبة السياسي .

في المتفى وعدم العودة الا اذا سقط النظام الحالى ..

وقد بعث لو – رو بالمعلومات التي تلقاها من لوبيز بتاريخ ١٧ من مايو . غير أن المحكمة لم تكن تعلم عن هذا المستند سوى أحدي الروايات التي «تم تنقيحها من بعض الفقرات» بحيث نرى طبقاً لأقوال وزير الجيش – «ان اظهار الحقيقة عنها يمكن أن يضر بالمصالح الفرنسية في الخارج ٠٠

بها أوفقي ، وكان من المفروض أن تقدم هذه الاستئلة ، بعد عملية «التقارب» إلى المهدى من بركة .

ومن بين الأسئلة المقدمة سؤال — كما كان توباس، المحامى العام، محقا في تأكيده — يفضى سر قلق وزير الداخلية المجرى ، ويمكن أن يشيره إلى حد كبير تلك الاستئلة التى تضمنتها مجموعة الاستئلة الخاصة بوكالة المخابرات الفرنسية ، أعني : «أنهم يتحدثون منذ بضعة شهور عن وجود تقارب بين القصر والاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ..» كما أنهم يتحدثون فى الحقيقة عن تأليف وشيك لوزارء يمثل فيها الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، فما رأيك في هذا الموضوع ؟ هل ذعماء الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية على اتصال بكم من أجل إسقاط النظام ؟» فمجموعتنا الاستئلة لو أمكن مقارنتهما بعضهما ببعض — ربما تكشفان سر قلق مماثل !

التقرير المؤرخ في ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٦٥

والآن نتناول التقرير المؤرخ في ٢٢ من سبتمبر الذى روى فيه لو — روى تحريرات لوبيز والتى بناء عليها عهد أوفقي إلى احدى «الفرق الخاصة» مهمة القيام «بمحاولة للتقارب من المهدى بن بركة» في القاهرة ثم في جنيف . وكانت هذه الفرقـة مكونة من «شتوكى لاربى» ، وفيليب بيرنـيـه ، وجورج فيـجـون .

وفي أثناء رحلتهم إلى جنيف يوم ٢٠ من سبتمبر كان يصحـب الرجال الثلاثة هذه المرأة شخص يدعى «لومارشـان» الذى قـام باعداد الترتيبـات والاجـراءـات لـبيرـنـيـه وـفيـجـون .. وـكان عـلىـ الفـرقـة أـن تـقـدـم إـلـىـ المـهـدىـ بنـ برـكـةـ مـشـرـوعـ فـيلـمـ يـعالـجـ الثـورـاتـ يـقـومـ عـلـىـ أـسـاسـ التـتـابـعـاتـ التـىـ تمـ تصـوـيرـهاـ وقتـ أـحـدـاتـ الدـارـ

وخلال المحاكمة الأولى شهد بيريز رئيس المحكمة والنائب العام ولوبيز نفسه كل بدوره بأسف — شهدوا بعدم وجود هذه الوثائق في الملف .

وقد وعد رئيس المحكمة بأنه سوف يطلبها من الجنـال جـيبـوه ، غير أن وزير الجيش امتنـع عن تقديمها .

ويمكن المرء أن يتخيـلـ الأـسـبابـ التـىـ منـ أـجلـهاـ رـفـضـ الوزـيرـ مـيسـمـيرـ الـاستـجـابـةـ لـهـذـاـ طـلـبـ ، فـلوـ كـانـتـ اـسـئـلـةـ قدـ أـذـيـعـتـ لـأـفـشـتـ سـرـ الحـوـفـ الشـدـيدـ الذـىـ كـانـتـ وـكـالـةـ المـخـابـراتـ الفـرـنـسـيـةـ تـشـعـرـ بـهـ مـنـ عـودـةـ ابنـ برـكـةـ إـلـىـ المـغـرـبـ فـيـ النـهـاـيـةـ ، ذـكـرـ الـحـوـفـ الذـىـ كـانـ يـشـارـكـهـ فـيـ بـرـدـجـةـ كـبـيرـةـ — الجنـالـ أـفـقـيرـ الذـىـ كـانـ مـصـالـحـهـ تـقـدـمـ مـصـادـفـةـ مـعـ مـصـالـحـ المـخـابـراتـ الفـرـنـسـيـةـ .

فـالـمـغـرـبـ فـيـ الـحـقـيقـةـ اـنـماـ هوـ — بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ نـشـاطـ وـكـالـةـ المـخـابـراتـ الفـرـنـسـيـةـ فـيـ أـفـرـيـقـيـةـ — مـرـكـزـ اـسـتـرـاتـيـجـيـ حـيـسوـيـ ، وبـالـاضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ — فـانـ رـجـالـ الـأـعـمـالـ الـفـرـنـسـيـينـ الـذـينـ مـازـالـوـ يـمـارـسـوـنـ سـيـطـرـتـهـمـ الـاقـتصـادـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ يـتـقـوـونـ الـمـحـافظـةـ عـلـىـ اـمـتـياـزـهـمـ الـبـالـغـةـ الـأـهـمـيـةـ ، وـكـانـوـاـ يـخـشـونـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ عـودـةـ المـهـدىـ بنـ برـكـةـ فـيـ النـهـاـيـةـ وـاشـتـراـكـهـ فـيـ الـمـكـوـمـةـ مـاـ قـدـيـرـتـ بـعـلـيـهـ تـحـسـينـ الـسـيـاسـةـ الـاقـتصـادـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ فـيـ المـغـرـبـ ، وـلـذـكـ فـقـدـ عـقـدـواـ الـنـيـةـ عـلـىـ مـقاـومـتـهـ .

وـربـماـ يـجـدـرـ بـنـاـ أـنـ نـقـارـنـ الـاسـئـلـةـ المـجهـولةـ فـيـ شـهـرـ ماـيـوـ ١٩٦٥ـ بـمـجمـوعـةـ أـخـرىـ مـنـ الـاسـئـلـةـ ، تـلـكـ الـمـجـمـوعـةـ التـىـ وـجـدـتـ فـيـ حـقـيـبةـ مـلـابـسـ فـيـجـونـ (١)ـ وـالـتـىـ — كـمـاـ ثـبـتـ مـنـ نـصـهاـ — كـانـتـ قـدـ أـوـحـيـ

(١) انظر الكـتـيبـ الـأـولـ عـنـ «ـقـضـيـةـ المـهـدىـ بنـ برـكـةـ» . فـقـدـ كـانـ مـنـ الـمـفـرـوضـ أـنـ يـقـومـ أـحـدـ الـخـبـراءـ فـيـ الـخـطـوـطـ بـفـحـصـ هـذـهـ اـسـئـلـةـ ، وـقـدـ أـشـيـرـ إـلـىـ أـنـ فـيـجـونـ كـانـ يـأـمـلـ أـنـ يـسـتـخـدـمـ هـذـهـ الـوـثـيقـةـ كـوـسـيـلـةـ لـاـبـتـازـ الـأـموـالـ مـنـ أـفـقـيرـ .

الاستاذ بروجيه : «انهم يتحدون عن محاولة للتقرب وعن هدف دائم ، أليس أنت قلقا بسبب مصرير رجل أصبح هدفا دائماً لعدوه السياسي وبسبب محاولة للتقرب تقوم بها فرقة خاصة ؟ لم يكن هناك بالنسبة الى أجهزتك أية مادة جديرة بتقديم تقرير عنها الى أجهزة الشرطة لكي تستطيع في النهاية أن تحدِّر الرجل المختص ، ثم تتخذ الاجراءات اللازمة لحمايته وسلامته؟»

ومع ذلك ، وخلافا لكل الأدلة – فان الجنرال جاكبيه – في خطاب وجهه الى القاضي زولينجر في أثناء التحقيق – ظل يدعى بأنه « لم تكن هناك أية دلالة تسمح للجهاز بأن يظن أنه كان من الممكن له أن يتوجه الى فرنسا لاختطاف المهدى بن بركة » . وأمام المحكمة أصر على رأيه واخذ يستتر على الكولونيل بومونت : اذا كان لابد من تصديقه فإنه لم تكن هناك عناصر كافية لارسال التقرير المقدم من لو – روی ! .

بالعكس فقد أجمع رؤساء الشرطة بأنه كان من اختصاص بابون رئيس الشرطة السابق ، وجربموه مدير الأمن الوطني السابق ، وبوبوكاران مدير المباحث العامة بالأمن الوطني – أن يقرروا : لو أن وكالة المخابرات الفرنسية كانت قد أدت عملاً بصورة طبيعية ، ولو أنها كانت قد أرسلت المعلومات المزعجة ، على الأقل تلك التي كانت تحتفظ بها ، لكن في الامكان اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان حماية المهدى بن بركة ! .

(ب) «اهمال» لو – روی

اذا كان لو – روی قد أرسل التقريرين بتاريخ مايو وسبتمبر ، كما كان يجب عليه ، فقد ارتكب عمداً فيما بعد سلسلة من التقصير مما يثبت اشتراكه في هذه المسألة :

البيضاء ٠٠ وطبقا لما قرره لوبيز : «لم يكن جلالته هو المقص في تلك الواقعة ٠٠٠ ، بل أوفقير المسؤول عن عملية القمع» ٠ كما قرر لوبيز أنه كان يتساءل عن الاسباب الحقيقة لتلك البعثة التي كانت تعمل تحت امرة اوافقير : فهل كانت مجرد رغبة لدى وزير الداخلية في معرفة النشاط الحالى لزعيم الاتحاد الوطلقي لقوى الشعبية ، أو في محاصرة أكثر قرباً لهدف دائم ؟

ومن الواضح تماماً أن التقرير أكثر احكاماً وتهديداً بالنساء الى المهدى بن بركة من التحريرات السابقة ، فقد أحالة لو – رو الى الجهاز ٣ (أ) التابع لوكالة المخابرات الفرنسية الذي يشرف على الشئون العربية ، والى جهاز مكافحة التجسس الذي يدخل في اختصاصه الاتصالات مع اشرطة ، فان هذا الجهاز لم يرسل المستند الى الشرطة ، وقد اعترف الكولونيل بومونت مدير ادارة البحوث بذلك أمام المحكمة .

على أن رئيس جهاز مكافحة التجسس – وهو المسؤول المباشر عن عدم ارسال هذا المستند الى الشرطة – لم تسمع أقواله بتخلص المحاكمة الأولى ! كما أن الأقوال الخطية والتي كان على أن يقدمها حول هذا الأهمال لم تودع الملف مطلقاً ! . والشهود نفسه يمكن أن يقال عن الأقوال التي أدلّى بها رئيس الجهة ٣ (أ) : وبعد اختطاف المهدى بن بركة افتتح تحقيق اداري يتعلّم – ضمن أشياء أخرى – بهذه التقرير ، أجزاء المدير العام لوكالة المخابرات الفرنسية ، غير أن نتائج هذا التحقيق لم تعلن بتاتاً !

وفي محاولة لتبرير عمله حاول الكولونيل بومونت أمسك المحكمة أن يقلل من أهمية التقرير المؤرخ في ٢٢ من سبتمبر حين أظهر الاستاذ بروجيه تعجبه :

سبتمبر « هذه المرة بصحبة شخص يدعى لومارشان (۰۰۰) »
ويبدو ان لوبيز كان قد صمم أمام معارفه ، في يوم ۸ من أكتوبر على
أن يوضح لـ لو - روى أن هذا الشخص المدعو « لومارشان » كان
يعمل محاميا ونائباً عن مقاطعة « ليون » (ثم أضاف لوبيز : انه
كان يعمل رئيس « البريز ») .

غير أن لو - روى لم يبلغ رؤسائه مطلقاً هذه البيانات الخاصة
بأبيات هوية لومارشان ! ..

تهديد فيجون بابتزاز الأموال

عاد فيجون من رحلته الى جنيف بمعلومات في غاية الخطورة
وقد أسرها في يوم ۱۰ من أكتوبر الى لوبيز خلال زيارة كان قد
قام بها الى مطار أورلي . ومن هذا السر كانت هناك عدة روايات :

أولاً تلك التي اعترف بها لوبيز في التحقيق والتي رددها
رئيس المحكمة بيريز أمام المحكمة بقوله : « .. في الحقيقة كان
المغاربة يريدون الافادة باتصالاتي للتقارب من المهدى بن بركة ، ثم
اختطافه بل واغفائه في النهاية الى الأبد » ! .

وكان فيجون مستعداً لأن ينظر في مسألة اشتراكه في عملية
الاختطاف بشرط أن يتسلم مائة مليون فرنك ، ثم توسل الى
لوبيز لكي يبعث بعرضه الى المسؤولين المغاربة ، وأضاف قائلاً :
إنه اذا لم ينزل ترضية فإنه سوف يكشف الأمر الى الصحف ! .

وها هي ذى الرواية الثانية التي دونها لو - روى في يوم ۱۲
من أكتوبر ولكنه لم يرسلها الى رؤسائه :

ففي يوم ۸ من أكتوبر أبلغ لوبيز أنه في اليوم السابق تلقى
مكالمة تليفونية من شخص مغربي يدعى « جبيلي » يطلب منه فيها
أن يتوجه الى جنيف ، وفي التحقيق وصف لوبيز هذه الرحلة
بالعبارة التالية : انه سافر الى جنيف من تلقاء نفسه لمدة يوم
واحد - وهو في يوم ۷ من أكتوبر وليس بعد المكالمة التليفونية -
وقد سافر الى هناك وهو مرتاب لكي يتحرى عن الرحلة التي قام
بها فيجون على التو - في يومي ۵ و ۶ من أكتوبر - الى جنيف
وبصحبته - دون علم المهدى بن بركة - « شستوكى » للحصول
على توقيع الزعيم المغربي على العقد الخاص بمشروع الفيلم ، وأمام
المحكمة ثبت أن لوبيز كان في الحقيقة قد سافر الى جنيف في
يوم ۷ من أكتوبر في صحبة بوشسيش ! ..

اما السبب الحقيقي من رحلة جنيف التي قام بها مختلف
هؤلاء الاشخاص - وجميعهم قد اشتراكوا في جريمة الاختطاف
فيتمكن أن يكون ، كما أكد الاستاذ ستيب أمام المحكمة : « محاولة
جديدة ضد ابن بركة دبرت لتنفيذها في ذلك التاريخ ، والتي لم
ينج منها المهدى بن بركة الا لأنه كان قد سافر الى جاكرتا في اليوم
نفسه » .

وفي يوم ۱۱ من أكتوبر قام أحد مساعدي لو - روى (وكان
متخفيًا تحت الاسم المستعار « ميشيل ») ، بإعداد تقرير عن
تلك الرحلة ، وكان يجب على لو - روى ، عند تسليم هذا التقرير
الاهتمام باكتشاف الدوافع الحقيقة لتحركات لوبيز الى جنيف .
اضف الى ذلك ان مما يدعو الى الانزعاج أنه « قصر » في ابلاغ
رؤسائه .

وبالمثل في تقرير المؤرخ في ۲۲ من سبتمبر ذكر « لو - روى »
طبقاً لاقوال لوبيز - أن « الثلاثة » (الفرقة الخاصة التي كانت مكلفة
بالاتصال بالمهدى بن بركة) قد سافروا الى جنيف في يوم ۲۰ من

ويجدر أن نقارن هذا التهديد بابتزاز الأموال بذلك التهديد الذي كشف عنه الأستاذ لومارشان من جانبه أمام المحكمة :

« بعد فترة قصيرة من عملية الاختطاف في الأول من نوفمبر ، حضر فيجون « من تقاء نفسه » إلى مسكنى ، فقد كان يريد « أن يثير فضيحة ». وقد صرخ فيجون بأنه كان من المقرر أن يقبض - ولكنه في الحقيقة لم يقبض - مائة مليون فرنك . وكما أن كل جهد يستحق أجرا ، فقد طالب بأجر من المغاربة ! » .

ولنعد إلى التحقيق الذي أجري في يوم ١٠ من أكتوبر ٠٠ فان لو - روى ، بعد أن أبلغه لوبير تهديدات فيجون الغريبة والتهديدات التي هي أكثر ازعاجا والتى تحقق بالمهدى بن بركة - لم يفعل أى شيء صراحة ، بل وامتنع بحرص عن تحذير رؤسائه . وأمام المحكمة حاول أن يطلب العفو عن ذلك التقصير بأن أعطى التفسير الغريب التالي :

« لم أكن مكلفا بابلاغ هذه المعلومات التي صدرت عن شخص مخادع وسافل » .
وفي ذات الوقت اعترف لو - روى - منذ ذلك الحين - بأنه تيقن هوية فيجون وعرف ماضيه ! ..

القائمة التي اختفت

في يوم ٢٢ من أكتوبر - أى قبل جريمة الاختطاف بأسبوع - كان « لو - روى » رئيس التحريرات بالجهاز « رقم ٧ » يحتفظ بقائمة تضمنت أسماء أربعة مغاربة كانوا « يسعون إلى الاتصال بالمهدى بن بركة بهدف تحقيق تقارب بينه وبين الحكومة الشريفية » وقد عهد « لو - روى » بهذه القائمة إلى أحد معاونيه ، وطلب إليه

« كنت أظن أن رحلتي (فيجون) إلى القاهرة مع شستوكى وبيرنييه تخفي وراءها أمرا ما .. فإذا كانوا يريدون الاستعداد للمهدى بن بركة فأنا شخصيا أود أن أقبض المبلغ فورا والا فسوف أكشف الأمر إلى الصحف (...) وما دمت أنت على صلات طيبة مع المغاربة عليك بتحذيرهم » .

اما الرواية الثالثة - تلك التى نقلها المفتش بوفيه عقب استجواب لوبير - فإنها مختلفة بعض الشيء ، ولكنها أكثر اقلالا بسبب ركاكة العبارات التى استخدمت :

« أنا (فيجون) لست غريبا .. فالغاربة يريدون التخلص من المهدى بن بركة وبعد ذلك مني أنا أيضا بلا ريب .. ! إنى أريد أن أقبض ثمن ما قمت به » .

وفي الرواية التى أدلى بها لو - روى ، أكد أنه قد « طلب إلى لوبير رسميا عدم التورط مع فيجون ! » .

ومما يؤيد حقيقة هذه الواقعية تلكزيارة الغريبة التى اضطر فيجون للقيام بها فى يوم ١٢ من أكتوبر إلى فرنسوا برينو ، مدير تحرير جريدة « مينوت » ، فقد اقترح على تلك الجريدة أن تنشر بعض المعلومات الخاصة بالمؤمرة التى يدبرها المغاربة بهدف اغتيال بن بركة والتى من أجلها كان من المقرر أن يتسلم هو وشركاؤه مبلغ « مائة مليون فرنك ». وكان فيجون قد أطلع برينو على خطاب تهديد بابتزاز الأموال من ثلاثة أو أربع صفحات منسوخ على الآلة الكاتبة كان قد وجده إلى المغاربة والى الحكمدار دليمى ، ذلك الخطاب الذى كان قد ختمه بالعبارات التالية :

« ... أما أن تدفع .. واما اننى سوف أقص كل شيء على الصحف الفرنسية ! » وكان من المقرر - على حسب أقوال برينو - أن تنتهي مهلة هذا الإنذار فى يوم الاثنين资料 (يوم ١٥ من أكتوبر) .

تسجل ضد لو - روى » ، ومن جنوب أكد المدعي العام توبياس « غش لو - روى المطلق » وعد أنه باختفائه مثل هذه المعلومات الهامة يكون قد « أدى دورا خطيرا وشادا للغاية ! » .

(ج) التقسيم بعد جريمة الاختطاف

لنبحث الآن موقف وكالة المخبرات الفرنسية بوجه عام وموقف لو - روى بوجه خاص بعد جريمة اختطاف المهدى بن بركة ، ذلك الموقف المنطوى على الخضوع الأثم ، والتكميم والمارواحة والخديعة ! .

ولنبدأ بيوم ٢٩ من أكتوبر ٠٠ في صباح ذلك اليوم لم يتوجه لو - روى إلى مكتبه في وكالة المخبرات الفرنسية في شارع مورتييه ، بل ذهب رأسا إلى مطار أورلي حيث وصل حوالي الساعة ٩:٣٠ في الوقت الذي وصل فيه المهدى بن بركة من جنيف : فلماذا كان هذا التنقل في الصباح المبكر من جانب لو - روى ؟ ان كان لابد من تصديقه بأنه قد حضر إلى مطار أورلي لاستقبال الجنرال جاكينيه عند عودته من رحلته ! على أن طائرة رئيسه لم يكن مقررا وصولها إلا في الساعة ١١:٤٠ ، وفي العادة أن لوبيز هو الذي يتولى عمل الاستعدادات الرسمية لوصول الجنرال ! وعلى أية حال فإن الأمر لا يتعدي استعدادات مختصرة للغاية طبقا لأقوال لوبيز أمام المحكمة ، ولكن في صباح ذلك اليوم بقى لوبيز في مكان آخر لسبب معين : هو أن يعد العدة لجريمة الاختطاف . على أن لوبيز كان قد اتخذ الاحتياطات الازمة في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم للاتصال تليفونيا بمسكن لو - روى كى يبلغه أنه لن يكون موجودا في مطار أورلي ! وكانت مدام لو - روى هي التي تلقت المكالمة . وقد أوضح لوبيز ذلك بهذه العبارة : « طلبت إليها أن تبلغ زوجها ذلك الميعاد مع المغاربة » . وقد نطقت شخصيا اسم ابن بركة أو ب.ب ولا يمكن أن يكون هناك أى لبس في ذهن لو - روى عندما سلمته زوجته الرسالة ! » .

أن يعد مذكرة موجهة إلى « القطاع الجغرافي » المختص في وكالة المخبرات الفرنسية ، ولكن بعد ذلك بنحو ثلاثة أرباع الساعة عدل عن رأيه ، ثم أعلن (طبقا لخطاب وقع عليه الجنرال جيبو المدير العام الجديد لوكالة المخبرات الفرنسية) أن « المغاربة المذكورين لم يحضروا دون ريب لمقاضاة المهدى بن بركة ، بل لقتله (كما) .. لا تفعل شيئا في الوقت الحاضر .. سوف أبحث الأمر . ! »

وأمام المحكمة حاول لو - روى أن «يطمس الحقيقة» : ففي حين أن معاونه (وهو شخص يدعى ديزورم) اعتقد انه كان يذكر أن الأسماء الأربعية كانت خاصة «بالفرقة الخاصة» المكلفة بالتقرب إلى المهدى بن بركة (وهم أوفقير ، الدليمي ، «شتوكى» والماحى) - زعم لو - روى أن الأمر كان يتعلق - بكل بساطة - بأسماء المحافظين المغاربة الأربعية الذين كانوا قد وصلوا على التو إلى باريس في يوم ١٩ من أكتوبر الحضور حلقه تدريب! غير أن الجنرال جيبو أعلن أن الوثيقة التى تحمل قائمة المغاربة الأربعية كانت قد نزعها لو - روى فيما بعد (فى يوم ٢ نوفمبر) من الملف الخاص بلوبيز وأنها قد اختفت منذ ذلك الوقت !

وبالمثل فقد انتزعت وثيقة أخرى بالطريقة نفسها بوساطة لو - روى ، وهى نسخة من مذكرة كانت قد سامت بعد هذه الحادثة ببضعة أيام ، وكان مقررا أن تحفظ هى أيضا بالملف ذاته . وأمام المحكمة ، ناشد محامى لوبيز الجنرال جيبو أن يقدم بيانا عن المحتويات المحتملة بالنسخة الثانية من المذكرة الأخرى التى أخذها لو - روى ثانية . ولكن دون جدوى .. !

وأوضح الأستاذ ستيب ، باسم النائب العام الخطورة القصوى المترتبة على اختفاء هذه الوثيقة ، وبهذه المناسبة فإنه « يعتبر أن جنحة عدم الإبلاغ عن الجانى يجب ألا تكون المخالفه الوحيدة التي

المقيم بوكالة المخابرات الفرنسية وسئله : « هل علم باختطاف المهدى بن بركة ؟ ». وكان الرد بالنفى ! . ومع ذلك بعد الظهر من اليوم نفسه فى أثناء مكالمة تليفونية أخرى مع شارونديير ، كان فى امكان الضابط المقيم بوكالة المخابرات الفرنسية أن يعطي محدثه على الفور عنوان ورقم تليفون السيد / محمد طاهرى أحد الأصدقاء السياسيين البارزين للمهدى بن بركة والذى يقيم فى باريس .

وبعد ساعة من الزمان (فى حوالي الساعة ١٦٣٠) رأى الضابط المقيم ترديد السؤال المطروح عن الجهاز « الجغرافي » المسمى بـ (١) الذى يشرف أساساً على « الشئون العربية » فى قسم المحفوظات حيث كان يحفظ الملف الخاص بالمهدى بن بركة وقد أعاد هذا الجهاز من جانبه نقل المعلومات الى الجنرال جاكىيه .

وأمام المحكمة سأل الأستاذ ستيپ الجنرال جيبوه - دون جدوى - عن السبب الذى من أجله لم يقدم الجهاز (١) ، منذ تلك اللحظة كل ما كان فى الملف المذكور ولا سيما تقارير لو - روى الشهيرة بتاريخ ١٧ من مايو و ٢٢ من سبتمبر ؟ ولم يفكر سواء مارييان - مورفان مدير مكتب المدير العام أو الجنرال جاكىيه نفسه أن يتيقن هل كانت الادارة العامة ممتنعة عن تقديم بعض المعلومات مما يمكن أن توجه سير التحقيق؟ .

الأستاذ ستيپ :

« لو كانت هذه المعلومات قد نقلت الى الشرطة لكان فى استطاعتها فى الحال أن تراقب تحركات أو فقير منذ لحظة وصوله الى مطار أورلى ، أو لعدم وجود (٠٠٠) السيارات التابعة لسفارة المغرب فى ليلة ٣١/٣ من اكتوبر ، ولكن هذا يقود الشرطة رأساً

وحتى لو لم تصل هذه الرسالة الى صاحبها فإن هذا الأخير كان لديه بلا شك من « الأسباب القوية » التى تحمه على الاعتقاد بأن لوبيز لم يكن فى ذلك الصباح فى مطار أورلى ، وأنه لذلك كان يجب عليه أن يحل محله لعمل الاستعدادات اللازمة لوصول الجنرال جاكىيه ! ولكن لماذا علاوة على ذلك توجه الى المطار فى ساعة مبكرة للغاية ؟ وهذه نقطة أخرى لم توضحها المحاكمة الأولى .

وعقب جريمة الاختطاف مباشرةً فان لوبيز - وقد عاد الى باريس - اتصل تليفونياً فى الساعة ١٣٢٥ من نادى « فيو - دو لا - فيبي » بشارع ديه - سان - بير ، بوكالة المخابرات الفرنسية ، وعلى الطرف الآخر من خط التليفون كان يرد عليه أحد أعون لو - روى واسمه بواتيل ، وأملأه لوبيز رسالة قصيرة : « من دون بدره : أرجو إبلاغ توماس أن القاء قد تم فى فونتنهاي بالقرب من منزلى ! » .

على أن بواتيل - وهو من كبار مشوهي الحرب - لم يستعد ذاكرته الا بعد وقت طويل ، لكنه يثبت نهائياً أنه قد تسلم الرسالة بالفعل ، وأنه كاد يكون وافقاً من أنه أبلغها لو - روى ، عند عودة الأخير الى مكتبه فى حوالي الساعة ١٦٠٠ .

مكالمات تليفونية مع الشرطة

وفي اليوم التالي (السبت ٣٠ من اكتوبر) حوالي الساعة ١١٠٠ .. عام وزير الداخلية بنهاية اختطاف المهدى بن بركة بعد أن قبض عليه « ضابطاً شرطة » فرنسيان .

وفي الساعة ١٥٣٠ اتصل كبير مراقبى الشرطة شارونديير التابع لادارة المباحث العامة فى رئاسة الشرطة تليفونياً بالضابط

اما بالنسبة الى لو - روى فقد لجأ - من أجل مقتضيات غايتها - الى أقدس العواطف : « في عائلتي نحن نكرس يوم عيد جميع القديسين لموتانا ، ويعلم الله أن كثيرين من عائلتي قد ضحوا بارواحهم من أجل الوطن ! » .

وفي الوقت ذاته زود بومونت الجهاز الذى يعمل به ومع لو - روى بوجه خاص ببيانات محددة للغاية ، وجدول مواعيده خلال أيام العيد ، والأماكن التى سيكون فيها والأوقات التى يمكن الاتصال بها عن طريق رقم تليفونه الشخصى !

وعندما عاد الكولونيل بومونت فى يوم ٢ من نوفمبر سأل لو - روى عن السبب الذى من أجله لم يستخدم الأخير هذا الرقم فأجابه لو - روى بأنه كان يأمل أن يحصل على معاممات جديدة ، وأنه لم يتلق شيئاً منها ! على أنه ادعى أممam المحكمة - فى محاولة لتبرير تقصيره - انه اتصل فعلاً تليفونيا بالكولونيل بومونت ، ولكن سيدة ردت عليه بأن هذا الأخير كان متغيباً عن مسكنه فى عطلة نهاية الأسبوع .. وهنا صاح الكولونيل بومونت : « هذا كذب ! » .

الكلمة القادمة من باجارد يوم ٣١ من أكتوبر

كان صمت لو - روى هو الشيء الأكثر غرابة حيث أنه تلقى فى يوم ٣١ من أكتوبر فى الساعة ١٣٦١ مكالمة تليفونية طويلة من لوبيز الذى كان يقيم فى الريف مع عائلته فى باجارد بمقاطعة «لواريه» ، غير أن لو - روى انتظر حتى يوم ٢ من نوفمبر ليعد تقريره عن هذه المحادثة ويرسلها إلى بومونت ، ومع ذلك فإنه لم يدون فيه سوى جزء طفيف مما رواه له لوبيز !

إلى فونتنسai أو إلى أورموي حيث كان فى استطاعتتها أن تنفذ الرئيس ابن بركة ! » .

الجنرال جيبوه :

« انى لا استطيع ان أصرح بما كشف عنه التحقيق الإدارى فى هذا الشأن ! »

ونحن لانعلم شيئاً أكثر من ذلك عن هذا الموضوع ، على الرغم من أن رئيس الوزراء جورج بومبيدو قد زعم فيما بعد ، وبصورة خطأ فى رده على كبير القضاة بمحكمة الاستئناف ، « بأن التحقيق الذى استعجله الجنرال جيبوه قد نقل بأكمله الى القضاء » (١) .

عطلة نهاية الأسبوع الطويلة ٠٠٠

فى ذلك اليوم «السبت» بينما كان المهدى بن بركة لايزال مختطفاً وربما محظضاً - كانت عطلة نهاية الأسبوع لعيد جميع القديسين قد بدأت .. وذهب الجنرال جاكىيه ليستريح « فى أتم هدوء ! » ، على حساب أقوال الاستاذ بروجييه أمام المحكمة أما فيما يتعلق بالكولونيل بومونت فقد قرر بلا مواربة :

« حدث أننى أقيمت ستارا حول حياتى كرجل مخابرات لكن أكرسها للعائلة وأتوقع الا يحضرنى أحد الا اذا حدث شيء غير طبيعى ! » .

(١) كشف خطاب من الجنرال جيبوه الى وزير الجيش بتاريخ ١٤ من فبراير سنة ١٩٦٦ (وهو محفوظ فى ملفات التحقيق) عن « عدد من العناصر » الناجمة عن التحقيق الإدارى ، ولكن الخطاب يختتم بهذه الكلمات : « لا يزال التحقيق جارياً » ، ولا علم لنا بما انتهى عليه هذا التحقيق ... !

١٣٥ بالنفي ، ذلك الموقف الذى جب له أمام المحكمة تلك الملاحظات الفاسية من رئيسيه السابقين :

الجنرال چاكىيه : « كان ينبغي أن يقول : أنا أقوم بتبلیغ رئيسى .. كان عليه أن يقول : ان في الأمر شيئاً » .

الجنرال چيبو : « انه من غير المعقول أن يكتفى هو بمثل هذه الاجابة الموجزة والسلبية ! » .

التبدل المفاجيء للأحداث يوم ٢ من نوفمبر

بدأ لو - روى ذلك اليوم بأن قام بزيارة مبكرة للغاية لرئيسه يومونت لكي يسلمه التقرير الخطى الخاص بمحادثته التليفونية مع لوبيز بتاريخ ٣١ من أكتوبر . ثم استقبله الجنرال چاكىيه بعد ذلك ، وتوجه له لو - روى فيما بعد الى موعد كان محددا له من قبل لتناول الغذاء مع المفتش كاي بادارة المباحث العامة ، ومع شخص يدعى كركاسون - لوديك وهو من رجال الصناعة .

وتأخر المفتش كاي كثيرا حيث كان يجري تحرياته الخاصة حول حادثة المهدى بن بركة وذلك لحساب حكمدارية الشرطة ، وكان قد تلقى بعض المعلومات من الليلة السابقة من أحد المخبرين وفي ذلك اليوم فى الساعة ١٣٠٠ التقى بعض المعاومات الهامة الصادرة عن فيججون المترشد وقد نقلها اليه تليفونيا ببير لومارشان نائب المحامى . وقد علم - ضمن مناعلم - باشتراك لوبيز فى عملية الاختطاف ، ولم يستغرق الغداء الذى بدأ فى الساعة ١٤٠٠ ١٤٠٠ فى مطعم « جالان فير » بشارع فيرنوي سوى نصف الساعة حيث كان مقررا من قبل (وقد بلغت الساعة ١٥٠٠) أن يختفى كاي ليذهب ليقدم تقريره الى حكمدار الشرطة .

وفي هذا التقرير المرسل الى الكولونيل يومونت أغفل لو - روى - ضمن ما أغفله - أن يذكر أنه قام بالرد على لوبيز الذى كان قد بدأ المكالمة وسئل : هل علم بنبأ اختطاف المهدى بن بركة؟ « إننى أشتـم رائحة أوفـيقـور وراءـها ! »

وأمام المحكمة دهش الجنرال چاكىيه من أن لو - روى لم يبلغه فورا مكالمة لوبيز ، وقد علق رئيس المحكمة بيريز على تقصير رئيس قلم البحوث :

رئيس المحكمة : « ... سأخبرك بما يدور بذهنك (٠٠٠) : اذا كان يبدو لك أن من غير المناسب أن تفصح عما أخبرك به لوبيز (٠٠٠) أعلم يكن هناك وقت ذاك تفكير الرجل الذى يشتمل على امساك سماعة التليفون واستدعاء الجنرال چاكىيه ليخبره : ... سيدى الجنرال ... أريد مقابلتك حيث أنه بعيدا عن المسائل الرسمية الخاصة بالجهاز ، فإن لدى بعض العناصر التى تبدو لي من الناحية الإنسانية ، مزعجة؟ لا يمكنني أن أصارحك بها لكنى تنقلها بنفسك الى الشرطة؟ » ،

وعقب المحادثة التليفونية مباشرة تقريبا بين لوبيز ولو - روى يوم ٣١ من أكتوبر فى الساعة ١١٣٦ قام ضابط الشرطة ليبون التابع للقيادة العامة للشرطة بالاتصال تليفونيا فى الساعة ١٢٤٥ بوكالة المخابرات الفرنسية ليسأل : « هل أحد الضباط المتصرفين التابعين للجهاز قد اتصل بالمهدى بن بركة فى يوم ٢٩ من أكتوبر؟ » .

وأخذ لو - روى السؤال حرفيا ولم يتردد فى أن يتلاعب بالألفاظ : حيث أن لوبيز لم يكن الا « مندوبا محترما » بل ومخبرا ولكن ليس « ضابطا متصرفا » ، فقد أعطى بفتور جوابا فى الساعة

ومنذ اللحظة التي بدأ فيها الفداء اندفع كاي قائلاً :

كاي : « ... انكم غارقون في الوضل تماماً ... أنت ووكال « البلد كله مقلوب رأساً على عقب ... ! »، لذلك قرر المدير العام لوكالة المخابرات الفرنسية أن يبعث إلى أجهزة الشرطة وفدا المخابرات الفرنسية ... ». وعلى أسئلة كاي استجتمع لو - روى جرأته في أن يجب بأن مؤلفاً من كامب المدير المساعد لجهاز مكافحة التجسس ، ذلك لا يعلم شيئاً .. « اي شيء » عن ظروف الاختطاف .. « لا علم له الجهاز التابع لوكالة والشرف على الاتصالات بالشرطة ، ومن كلين الذي كانت سلطاته - وهي أقل اعتماداً بكثير - تتضمن نقل رسائل وكالة المخابرات الفرنسية إلى الشرطة ، وأخيراً من لو -

وأمام المحكمة عنف بيريز رئيس المحكمة - لو - روى ، لأن روى .. وكانت تعليمات الجنرال جاكبيه صريحة : لم يكن « ثرثراً بدرجة كافية » مع المفتش فيما يتعلق بكل ما كان « لا ترك وسيلة إلا تطرقها لمساعدة الشرطة في مهمتها .. ولهذا الغرض قم بمراجعة جميع بطاقات الجهاز ولا سيما تلك ثم باح المفتش كاي لمتحده علانية بأنه يعرف أن لوبيز مشترٌ الخاصة بفيجوون ، واجمع جميع عناصر المعلومات ، ثم افتح بطاقة في هذا العمل .. فصاح لو - روى : « لا بد أن لديك معلومات خاصة عن لوبيز .. ». وكانت من بين عناصر المعلومات المطلوب تقديمها ، بكل تأكيد - في غاية الأهمية ». وعمل كاي ، الذي لديه مخبروه الخاصون : المكالمات التليفونية بتاريخ ٣١ من أكتوبر بين لوبيز ولو - روى . أياماء من الخلف إلى الأمام ليقلد طعنة خنزير مما وجهاه أو فقصه إلى المهدى بن بركة !

فهل وصل بلو - روى الحد الذي يبدو فيه أقل اقتضايا المخابرات الفرنسية - فلم تكن هناك ضرورة إلى « فتحها » ، فقد ففى التحقيق الذى أجرى فى يوم ٢٢ من يناير سنة ١٩٦٦ أكد كانت هناك بطاقة بالفعل منذ شهر يناير عام ١٩٦٤ وقد أعدها المفتش كاي : « إن إجابات فينفيل دفعتنى إلى أن أنظر جدياً إلى لو - روى الضابط المتصرف للوبيز ، غير أن الوفد لم يسلمها المعلومات التى حصلت عليها قبل أن أذهب إلى ذلك الفداء ». إلى الشرطة . وقد رفض وزير الجيش أن ينقلهما إلى قاضي التحقيق ، وأمام المحكمة أصر الأستاذ ماجيانى - دون جدوى - على أن تودع المحكمة .

وفد من وكالة المخابرات الفرنسية

وفي الوقت نفسه لم يتلق كامب رئيس الوفد بصفة مباشرة ان المكالمات التليفونية التى تلقاها الجنرال جاكبيه من وزير تعليماته من الجنرال جاكبيه بل من بومونت مدير قلم البحث ، الداخلية ومن مجلس رئاسة الوزراء فى صباح يوم ٢ من نوفمبر وكانت تعليمات هذا الأخير مقيدة بصورة غريبة . وأمام المحكمة قد أثارت اضطراباً فى الأوساط العالية فى وكالة المخابرات الفرنسية أوضح كامب : « لم أكن مكلفاً أن آتني وأصرح بكل ما كانت وكالة المخابرات الفرنسية تعلمها عن الاستعدادات الخاصة باختطاف المهدى بن بركة ... ». فالمسألة كانت قبل كل شيء عبارة عن العبارة :

اعطاء الشرطة ملخصا للتقرير الذى قدمه لو — روى فى يوم ١٢ من سبتمبر ، وكانت المسألة تتعلق أيضا بالذهب إلى الشرطة وبالبلاغها أن وكالة المخابرات الفرنسية لم تدبر عملية الاختطاف » .

ولكنه امتنع عن تقديم أى تفسير شفوئ للعبارات المقضبة الواردة في البطاقة !

وفضلا على ذلك فان البطاقة قد تجاوزت اختصاصاتها كثيرا ودفعه واحدة بالكلام التليفونية القادمة من بلجارد فى يوم ٣١ من أكتوبر وبالملاحظات العابرة (خارج المحضر) التي أدلى بها فيليب بيرنييه — كما سيلاحظ فيما بعد — في اليوم السابق أمام المفتش مارشان والتي كانت تشير الى قسوة أوهقيير . وكذلك لم تذكر البطاقة شيئا سواء عن لوبيز أو عن وصول أوهقيير والدليمي الى باريس ، ولا عن الليلة التي أمضاهما أوهقيير في مسكن لوبيز أو عن التحركات المرتبطة التي كانت تجري ليلا في أورموي ، الخ . . .

على أن لوبيز اعترف شخصيا أمام المحكمة بأن هذه البطاقة « قد انزعت في الحقيقة وأنها لم تكن تعنى شيئا » . وقد علق الأستاذ ماجيانى على ذلك بقوله « انه قد تم تلخيصها بصورة يصعب تصديقها ! » .

وبعد أن تم تزويده بمسند « صورى » توجه وقد وكالة المخابرات الفرنسية يوم ٢ من نوفمبر في الساعة ١٥٠٠ لمقابلة السيد / جودار مدير مكتب المدير العام للأمن الوطني ، وقد تأخر لو — روى حيث انه كان — على حسب ما قيل لجودار — بسبيل اجراء « تحقيق » ، ولم يكن هذا « التحقيق » سوى لقاء قصير مع لوبيز بالقرب من شارع سوسية !

ومثلما فعل لو — روى تماما في أثناء الغذاء مع المفتش كاي فقد كان حضور الوفد بنفسه لتفصي بعض المعلومات من ادارة الأمن الوطني أكثر من اعطاء بعض المعلومات ، وذلك لأن حاول أن يلقط في أثناء الاجتماع ما قد يكون لدى الأمن الوطني من معلومات

وقد أمد بومونت الوفد باحدى البطاقات التي أكد الجنرال جاكبيه أنه كان يجهل الفرض منها والتي لم تكن تتضمن سوى « بعض معلومات ضئيلة » مقتبسة من تقرير لو — روى المؤرخ في ٢٢ من سبتمبر ، ولم يكن الأمر يتعلق الا « بالفرقة الخاصة المسئولة عن الاتصال بالمهدي بن بركة وعن مشروع الفيلم عن الشورات » . وإذا كان « المدير العام لادارة الأمن المغربي » قد وجه إليه الاتهام فيها فإن اسم الجنرال أوهقيير لم يجر حتى نطقه . . .

ان النقطة الوحيدة التي كانت البطاقة أكثر وضوحا بشأنها من التقرير المؤرخ في ٢٢ من سبتمبر هي تلك الخاصة بلومارشان الذي وجه إليه الاتهام في صراحة أكثر :

« أن شخصا يدعى لومارشان (دون أى تحديد آخر) قد أجرى اتصالات مع الأشخاص الثلاثة الذين سبقت الاشارة اليهم والذين صحبهم إلى جنيف حوالي يوم ٢٠ من سبتمبر بغرض إعادة الاتصال هناك بالمهدي بن بركة » .

وكان لو — روى يعلم تماما الأشخاص الأربع الواردة أسماؤهم في البطاقة : ألم يتناول الغذاء مع « شتوكي » في مطعم بشارع أوبر كامف ؟ ألم يقم في أحد أيام سبتمبر بتقفيش حافظة نقوده على نحو متھور في مطار أورلي ؟ ولكنـه كان يعلم على أية حال — منذ يوم ٨ من أكتوبر — من هو الشخص الذي يدعى « لومارشان » .

على أنه لم يفكر من هو فيجيون ؟ وقد أوضح الكولونيل بومونت أمام المحكمة أن وكالة المخابرات الفرنسية احتجزت ملفا عن بيرنييه

ثم أكد كل من كامب وكلين في أثناء التحقيق الاداري الذى افتتحته وكالة المخابرات الفرنسية ان أقوال لو - روى لم تكن لتسمح بآيات أية علاقة بين رحلة او فقير والدلىمى وبين اختطاف المهدى بن بركه ! .

وأمام المحكمة فان الأستاذ ستيب نيابة عن النائب العام ، اثقل على لو - روى من أجل « الخطأ الجسيم » الذى ارتكبه فى أثناء تلك المقابلة ، وأفلح فى احباط مناوراته .

وعندما علم ماريان - مورفان مدير مكتب الجنرال جاكىيه ان او - روى لم يبلغ الشرطة بعد ظهر ذلك اليوم (٢ من نوفمبر) جميع المعلومات التى أعدها - أظهر أمام المحكمة « ذهولا » لم يكن من الواضح ما اذا كان ذهولا حقيقة أم مصطنعا ... !

وأكد الأستاذ بياجى وهو أحد محامي لوبيز من جانبه أمام المحكمة خطورة الأكاذيب التى أدى بها لو - روى ، حيث ان لو - روى - على حسب قول المحامي - « قد قام بذلك بتحويل الشكوك التى كانت لدى سومفای الى افتراضات اعتباطية بالنسبة الى علاقة الأحداث التى ربطها المقتش كاي » . وبعبارة أخرى حاول لو - روى أن يلقي الشك حول صحة المعلومات الخطيرة التى جمعها المقتش ..

تزوير تقرير ثان

غير أن لو - روى ذهب الى أبعد من ذلك فى طريق المداع ، فقد سبق أن أرسل تقريرا ناقضا تماما عن محادثته التليفونية مع لوبيز فى يوم ٣١ من أكتوبر . فانظر كيف يعود الى اجرامه ٠٠

عن الحادث ، وهذا ما أيده جودار أم المحكمة بقوله : « إن انطباعى هو أنهم كانوا يحاولون استدراجي فى الكلام ! ». وعندما وصل لو - روى قرب نهاية الاجتماع ، أخذ زميليه جانبها ، وخلص لهما فيما يبدو لحادثة القصيرة التى تمت على التو بينه وبين لوبيز ، اذ صاح كل من كلين وكامب فى صوت واحد : « ٠٠٠ ان الأمر هو ماما كذلك ٠٠٠ انه الشيء الذى كنا نظنه ٠٠٠ » ولم تقد هذه الملاحظة الغامضة جودار كثيرا فى تحرياته ، بل تركته دون اشباع !

وفي الساعة ١٦٠٠ بعد أن تنقل الرفاق الثلاثة التابعون لوكالة المخابرات الفرنسية من مركز شرطة لآخر ومن شاطئ السين لآخر - استقبلهم السيد / سومفای مدير مكتب حكمدار الشرطة ، ويستحق هذا اللقاء التوقف عنده والذى وصفه ثورب رئيس هيئة المرافعة أمام المحكمة بأنه من « النقاط القليلة » في الحادثة ، وأقسم كامب - مثلما فعل لدى جودار - بأغاظل اليمان بأنه لا يعلم شيئا عن كل ما يدور حول حادثة المهدى بن بركه .. ولكن فجأة كما روى السيد / كلين أمام المحكمة - وجه المقتش كاي الذى طلب إليه سومفای الانضمام اليه فى الاجتماع ، هذا السؤال :

« ... وما قولك لو أثبتت لك أن لوبيز قد اشتراك فى عملية الاختطاف ؟ ٠٠٠ »

وهنا صاح لو - روى قائلا : إن مخبره قد أقسم له على التو بأنه لم يشترك فى تلك العملية ! وفي محاولة للتسתר على لوبيز ، ناشد لو - روى سومفای بأن « يأخذ فى الاعتبار الى أقصى حد ممكن كفاية لوبيز كمحب لوكالة المخابرات الفرنسية ! » ثم أضاف قائلا : انه لو كان لوبيز مذنبا فإن وكالة المخابرات الفرنسية لن تتسر عليه ٠٠ ! »

في مساء اليوم نفسه (٢ من نوفمبر) في الساعة ٢٠٠٠ كان لدى لو - روى موعد جديد مع لوبيز في شارع راب في مقهى « بونيه » الذي تملكه زوجة مساعدته لونوار ، وكان الرجال وقت ذلك خارقين النفس بصورة واضحة ، فقد كان لو - روى يشعر بالضياع ، وكان ينتخب : « .. أواه يا صديقي .. ! إنى قد انتهيت .. إنى قد انتهيت ! »

وبعد ذلك بدأ رئيس قسم البحوث في النهاية في أن يكون مشغولا بمصير الزعيم المفقود ، فان المسألة الآن - كما أصر لدى لوبيز - هي أنه « يجب عمل كل المستطاع للعثور على المهدى بن بركة » .

وفي الوقت ذاته ، قام رجال الشرطة بالبحث جديا عن لوبيز « الذى اختفى عن الانظار ». وقد ضفت سومفای على لو - روى خلال الحديث الذى دار بعد الظهر لكي يبحث مخبره على أن يسلم نفسه دون ابطاء الى القسم الجنائى . وقد أجاب لو - روى بقوله : انه ان كان سيفقابل مخبره فسيحشه على تسليم نفسه الى الشرطة ، ولكنه لم يقل انه قد قابله بالفعل منذ ساعة مضت ، ولا انه سوف يقابلها مرة أخرى فى غضون ساعات .. وفي المساء نصح لوبيز حقا بأن يسلم نفسه ، ولكن فقط فى اليوم التالى !

وفي مساء يوم ٢ من نوفمبر عرض لو - روى بأن يقوم شخصيا بإجراء التحقيق فى حادثة المهدى بن بركة ، وأن يعاون الجهات المسئولة عن التحقيق ! غير أن الكولونيل بومونت الذى كان يبدو تماما (وقد سئم العمل مع الجنرال جاكىيه) أنه من الاعتقاد ، بعد ظهر يوم ٢ من نوفمبر ، مسئولان كبيران فى الشرطة الرؤساء الحقيقيين لوكالة المخابرات الفرنسية ، وجه إلى لو - روى فى اليوم التالى (٣ من نوفمبر) مذكرة مذهبة هذا نصها :

عند عودته الى وكالة المخابرات الفرنسية لم يتزدد فى أن يوجد الى الجنرال جاكىيه تقريرا مزورا عن اجتماع الوفد مع الشرطة ، وقد ادعى فى ذلك التقرير أنه قدم عددا من المعلومات ، تلك المعلومات التى احتفظ بها فى الحقيقة لنفسه بكل عنابة !

وأمام المحكمة قدم سومفای دليلا ساحقا ضدة : لم يكن هناك أدنى شك - خلال اجتماع الوفد وخلافا للتأكيدات الواردة فى التقرير الذى قدمه لو - روى الى الجنرال جاكىيه - من وجود مناورة بتوجيه من أوفicer والدىلىمى ، ولم يحدث فى أى وقت أن أفترضت أسماء أوفicer والدىلىمى بعادلة اختطاف المهدى بن بركة ، كما لم يحدث فى أى وقت أن أثيرت مسألة وجود الجنرال أوفicer وتحركته فى أورموى فى سيارة تحمل لوحات الهيئة الدبلوماسية . وكذلك لم يحدث فى أى وقت أن أثيرت مسألة وجود الجنرال أوفicer وتحركته فى مطار أورلى .. الخ ..

وتباوزا للسيد / سومفای - أكد المفتش كاي أن الواقع الذى وردت على أن لو - روى قد قدمها فى منزل سومفای - لم تكن فى الحقيقة كذلك !

على أن الضربة القاضية وجهت الى لو - روى من الجنرال جاكىيه الذى ألقى بهذه الكلمات :

« .. الكل كان مقتنعا اعتبارا من يوم ٢ من نوفمبر بأن لأوفicer والدىلىمى يدا فى الجريمة .. »

ومع ذلك فان لو - روى لم يكن يشأ أن يشتراك فى هذا الاعتقاد ، بعد ظهر يوم ٢ من نوفمبر ، مسئولان كبيران فى الشرطة ليس أكثر من الجنرال جاكىيه الذى امتنع عن اطلاع الحكومة عليه .

« لا تفعل شيئاً في موضوع ابن بركة ولا تأخذ المبادرة ! »

ولكن في تلك الحالة : لماذا اذن عمل على اخفائها ؟ وفضلاً على ذلك « قدم تقريراً في النهاية عن المعلومات التي تم الحصول عليها من الدور الذي قام به الكولونييل بومونت كان دوراً غير عادي تماماً ! . اذن فما مصلحة مدير قسم التحريات في اثارة الفتنة ؟ ولكن دون الكشف بوجه خاص عن مصادرنا ! »

« وبالمثل قدم تقريراً فوراً عن رد الفعل لدى حكمدارية الشرطة

تجاه مخبرنا »

الصراع بين لو - رو و بومونت

وهكذا كانت وكالة المخابرات الفرنسية في يوم ٣ من نوفمبر وجدير بالذكر في هذاخصوص أنه خلال المحاكمة الأولى تبدو أكثر قلقاً على مصير مخبرها لوبيز من قلقها على مصير الزعيم جرت مهارات عنيفة بين كل من الرجال الرئيسيين المسؤولين عن المفقود ! وأمام المحكمة أظهر الأستاذ ماجاني أن مذكرة بومونت التقصير من جانب وكالة المخابرات الفرنسية (لو - رو و بومونت) « قد جعلت الجنرال جاكينيه يقفر » وأنه حضر ليؤكّد بنفسه أنه لـ في محاولة ليلقي كل مسؤولية الخطأ على الآخر : فقد قام بومونت يكن هو الذي قد أعدّها !

أمام المحكمة بتضييق الخناق على مرعوشه السابق الذي قام وفي محاولة لتبرير نفسه أصر بومونت ، ثم تلاه الجنرال بمساندة محامي الأستاذ ماجاني بالاجابة عليه برد مفحم بقوله : جيبوه ، على أنه ليس لوكالة المخابرات الفرنسية أي عمل في أنه إذا لم يكن هناك أي اهمال آخر سوى اهماله هو فإن ذلك الأرضي الفرنسي ، وإن التحقيق أتمته الشرطة وأنه (التحقيق) الاتهام يستحق العقوبة على قدر خطورته ! ومضاعفة لمحاورته لذلك « يقع كلية خارج اختصاص وكالة المخابرات الفرنسية » بنوع من التهديد بابتزاز الأموال - قام بتهديد بومونت ، بطريقة خفية نوعاً ما بالكشف علينا عن الكثير من الأسرار المحرجة الخاصة ولم يبق إلا أنه حتى النهاية قد فعلت وكالة المخابرات « بالدفاع الوطني » .

الفرنسية ، كل ما في استطاعتتها لبلبلة سير التحقيق بهدف جعل وهذا ما حدث أمام المحكمة في يوم السبت الموافق الأول من مهمة الشرطة أكثر صعوبة .

اكتوبر عندما قام لو - رو ، وهو ثائر إلى أقصى حد ، بالقاء والسؤال الذي لا مفر من أن يطرح نفسه هنا هو ، إذا ؟ وما إشارة مشجعة وغامضة في الوقت نفسه قائلًا :

مصلحة وكالة المخابرات الفرنسية في إقامة الكثير من العراقل في وجه البحث عن الحقيقة ؟ وهل كان لو - رو من جانبه يرى « أني عصبي المزاج اليوم للسبب التالي : وهو أني - أنا أيضاً - فقط - كما أوحى بذلك النائب العام توبياس ربما بتساهل كي مضطر لأن أتحرر قليلاً .. فاني حبس سر الدفاع الوطني ، في مرافعته ضد المتهم - يريد أن يدلّي بأقل أقوال ممكنة لكيا وذلك يقارب التهديدات ، حيث إن الشيء الذي يجب أن يحدث يضطر إلى الاعتراف بأنه قد أخفى بعض المعلومات المتعلقة بالقضية هو أنه ينبغي أن أقيم الدليل على براءتي هنا ، وسوف أفعل ذلك في الأسبوع القادم . »

لا مناص منها هو أننا نود أن نعرف : هل كانت وكالة المخابرات الفرنسية قد ظهرت على أنها مجرد عاجزة عن منع اختطاف المهدى ابن بركة ، أو أنها كانت شريكة في هذه الجريمة ؟ ففى مرافعته ركر ثورب رئيس هيئة المراقبة كل اهتمامه بنوع خاص على الدور المهم الذى قام به الكولونيل بومونت قال : « ان الكولونيل بومونت لم يستطع أن يبدد عن أذهاننا اليقين الذى نملكه من التفطية التى فى قلب وكالة المخابرات الفرنسية (. . .) والتى تفسر تلك الاستكانة البعيدة الاحتمال ! » . ثم قال ثورب : انه مقتضع بأن « هذه التفطية لا توجد الا على مستوى الأجهزة الوسطى بين الجنرال جاكىيه وبين لو - رو (فينفيل) ! » .

وبالثل أظهر ثورب أن التحقيق الإدارى فى قاب وكالة المخابرات الفرنسية قد عهد - كما لو كان من باب الصدفة - إلى نفس الكولونيل بومونت الذى كان يجدر أن يكون فى دور الحق معه بدلا من دور المحقق !

وفى تدخله بالجمعية الوطنية (البرلمان资料) فى يوم ٦ من مايو سنة ١٩٦٦ اعترف رئيس الوزراء بأن وكالة المخابرات الفرنسية « شاركت منذ وقت طويل فى الحرروب التى تدور فى المستعمرات » وأن « البعض من ضباط الوكالة لا يزالون يحتفظون بعقلية وعادات بل والروابط الموروثة عن تلك الفترة ! » وتردددا لذلك وجه الاستاذ بروجيه سؤالا إلى الجنرال جاكىيه بمناسبة الادلاء بشهادته : « أليس هناك فى قلب وكالة المخابرات الفرنسية الكثير من هؤلاء الضباط من يعاودهم الحنين الى عهد مضى - الا وهو عهد الاستعمار - ومن لا يقبلون الملاعنة مع المشكلات الجديدة التي يطرحها استقلال بعض الدول ؟ »

ولا شك أنك سوف تكون على علم بكل شيء . . . ، ولكن إذا كان على أن أغادر هذه المحكمة وأجد نفسي داخل سيارة السجناء لكنى أذهب الى محكمة أمن الدولة - فانى يا سيدى الرئيس أطلب منك الحماية . . . »
 واستعاد لو - رو - بعد قضاء عطلته الأسبوعية (يوم الأحد) فى راحة وتأمل جزءا من رباطة جأشه أمام المحكمة فى اليوم资料 (يوم الاثنين الموافق ٣ من أكتوبر) . وفسر ذلك بقوله : « فى يوم السبت كنت عصبي المزاج قليلا (. . .) ولكن اليوم يا سيدى بومونت ان ما ألمك من أجله دائما هو أنك قد تخليت عنى ! » وبعد أن تجاسر لو - رو - برغم كل شيء - فى أسلوب يحمل تلميحا حصيفا ، فى طريق اماطة اللثام عن خبايا هذه القضية - وجه الى بومونت هذا السؤال الجاف : « هل تتفضل يا سيد بومونت أن تذكرنى عندما كنت أنا فى نقابة BrainTrust Action هل تذكر ذلك ؟ » . وعندما ارتبك بومونت من التذكرة الفظ لاحدى العمليات السرية التى لا يمكن المجاهرة بها مطلقا ظاهر بالجهل أو فقدان الذاكرة ! وفي مرافعته بتاريخ ١٧ من أكتوبر قام الأستاذ مادجياني محامى لو - رو بتضييق الخناق على بومونت بالطريقة نفسها : « انه (بومونت) لا يستطيع مطلقا أن ينفذ أية عملية تحريات . . . وإن كان قد قام بتنفيذ عملية واحدة فقط تتمثل فى استقطاب بعض الأشخاص بالظلات من زراء حدود أحدى الدول . . . ولم يسمع عنهم شيئاً البتة منذ ذلك الحين ! » .

هل هو عدم مقدرة أو اشتراك في الجريمة ؟

ومهما كان من أمر هذه التسويات الحقيقة فى الحساب بين لو - رو و بومونت : فإن السؤال الذى يفرض نفسه بصورة

ويقى أن نعرف أن مجلس الوزراء فى جلسته بتاريخ ١٩ من
يناير سنة ١٩٦٦ قد اتخذ قرارين :

من ناحية قام المجلس بفصل الجنرال جاكىيه المدير العام
لوكالة المخابرات الفرنسية الذى حل محله الجنرال جيبوه .

ومن ناحية أخرى أعفى رئيس الوزراء من الاشراف على
الجهاز السرى الذى وضع تحت اشراف وزير الجيش .

وفي محاولة لتبرير تقصيرها الجسيم المحت أجهزة وكالة
المخابرات الفرنسية الى أن الدوائر العالىا (أى ديوان رئيس
الوزراء نفسه) هي التى أصدرت التعليمات التى أوصلت بعدم
ازعاج رئيس الوزراء بتقارير لا يمكن ضبطها تقريبا عن خطط
الاختطاف أو محاولات الاعتداء التى تستهدف هذه الشخصية
السياسية الأجنبية أو ذلك ! وأمام المحكمة عبر الجنرال جاكىيه
بدقة عن كل الازدراء الذى يشعر به نحو ذلك النوع من التعذيب
والغموض : « .. الشروع فى الجريمة .. يا لها من معلومات
قليلة القيمة ! »

ويتصور المرء أن السلطات الفرنسية المسئولة قد تبدى
بعض الريبة بل وعدم المبالاة بالنسبة الى الاشاعات التى لا يمكن
ضبطها عن الانقلابات أو عن محاولات الاغتيال الموجهة ضد هذا
الضيف المخطيم لفرنسا أو ذاك .. ولكن عندما تعقب هذه الاشاعات
دلائل ثابتة مما تكشف عن اعدادات لایة جريمة ، وعندما تنال
هذه الاعدادات سمعة قبيحة الى الحد الذى فى كثير من الدول
سواء الافريقية والعربيه أو الاوروبية تكون أجهزة الشرطة على
علم تام بها وحيث يجرى البلاغ عنها للكثير من الصحفيين ورجال
السياسة - فحينئذ تصبح الريبة او اللامبالاة من جانب المسؤولين
اشتراكا فى الجريمة او تقصيرها جنائيا ! .

(٢) وفـد رئـيس الـوزـراء

على أعلى المستويات ، أى على مستوى رئيس الوزراء
المسئول عن وكالة المخابرات الفرنسية من حيث الاجراءات
الحكومية - كان الجدل فى الاوساط الرسمية هو أن المعلومات
التي أتمت جمعها منذ شهور قبل الاختطاف - وكالة المخابرات
الفرنسية بالنسبة الى الفخ الذى كان معدا للمهدى بن بركة -
لم تصل مطلقا الى آذان « فندق ماتينيون » .

وفى الجمعية الوطنية ، فى يوم ٦ من مايو سنة ١٩٦٦ أخذ
جورج بومبيدو يتحدث فجأة على هيئة مقاطعة الحديث فى أثناء
خطاب فرای وزير الداخلية ، كالشخص الذى لا يشعر بطهارة
الذيل . وقرر : « وب مجرد ما أن اتضح أن أحد مخبرى وكالة
المخابرات الفرنسية قد تورط فى القضية وأنه كان فى استطاعته
أن يصل معلوماته الى رؤسائه - أصدرت أمرا باجراء تحقيق
فى المستندات التى قامت وكالة المخابرات الفرنسية بنقلها اليها
والى الاليزيه (مقر رئيس الجمهورية) ، منذ شهر مايو ، وقد تم
استعادة جميع هذه المستندات واحدة فواحدة ، ولم يظهر فى
أى منها وفي أى وقت وبأى شكل أدلى دلالة مما تسمح بالاعتقاد بأن
تهديدا ما يتحقق بسبىء الحظ ابن بركة ! ». وقد أعطيت الإجابة
نفسها على سؤال مكتوب من النائب العام الى الرئيس الأول المحكمة
الاستئناف .

كانا يسهلان فقط تقاربا بين رئيس حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية وبين ممثلي الحكومة الملكية - فانهما لم يذكرا الحقيقة ، اذ كيف أمكنهم أن يتظاهروا بسلامة النية في حين أن لوبيز هو الذى أخطر بعبارات ثابتة رئيس جهاز البحث عن التهديدات التى كانت تتحقق بمصير المهدى بن بركة وأن لو - روى هو الذى كان بذلك يحافظ علما بصفة مستمرة بهذه التهديدات بما فى ذلك من أسرار فيجون الى لوبيز الذى لم يتردد في الرد على الآخر ، والذى أبلغه فى يوم الأحد ٣١ من أكتوبر عن طريق مكالمة تليفونية من بلحارد عملية الاختطاف والعمليات التى تبعتها ، بقوله : « أنى أشتم رائحة أوفيق وراءها ؟ » .

فهل ينبغي أن نسلم بأن وكالة المخابرات الفرنسية لم يكن فى مقدورها - بالنسبة إلى الحكومة الفرنسية - أن تكون مصدر معلومات **محققة ومؤكدة** ؟ ول يكن ذلك ، ولكن ماذا عن سفارة فرنسا فى الرباط ؟ ان الكل يعلم أن هذه السفارة من أهم سفارات فرنسا فى العالم نظرا لأهمية المستعمرة الفرنسية السابقة والمصالح الفرنسية فى المغرب : أليس من الأدوار التى تؤديها أجهزة تلك السفارة متابعة التطور العام للدولة وبوجه خاص فى الميدان السياسى ، ونقل معلوماتها الى الجهات الفرنسية المختصة ؟

وما دامت الأمور تسير كذلك كالمعتاد فهل يمكن أن نتصور ان الأحداث - فضلا على كونها ذات صفة مميزة لذلك التطور ، وتحدثت عنها الصحافة المحلية ، ومعلومة لدى الدوائر السياسية او النقابية المغربية ولدى مختلف المراقبين الأجانب - قد غابت عن بال الأجهزة التابعة لسفارة فرنسا فى المغرب وعن بالها وحدها دون غيرها ؟ وما تلك الأحداث وتلك الدلالات التى ظهر من خلالها الخطر الذى كان يهدد حياة المهدى بن بركة ؟ وقد تم تقديم تحليل

وعلى ذلك فان السلطات العليا ابتداء من رئيس الوزراء الى حكمدار الشرطة بابون اعتقادا منها بذلك وأن فى استطاعتها أن تعفى نفسها من مسؤوليتها - قد أوضحت للرأى العام أنها كانت تجهل كلية التهديدات التى كانت تحقيق بحياة المهدى بن بركة ، بل أن هذه التهديدات لم يكن يشتبه فيها نظرا لأنه قد جرت اتصالات بين القصر الملكى وزعماء المعارضة المغربية وأن المفاوضات كانت تدور بهدف دخول هؤلاء الزعماء فى حكومة بلادهم ! ولكن هل تعتبر هذه التعليقات مقبولة ؟ وبعبارة أخرى ، هل كان يمكن أن تكون السلطات العليا الفرنسية فى جهل تام عن الموقف السياسى فى المغرب مثلما كان يبدو عليه فى مطلع شهر يوليو سنة ١٩٦٥ ؟

أولا : فيما يتعلق بوكالة المخابرات الفرنسية فاننا نعتقد أنها قد أوضحتنا سابقا بما فيه من الكفاية مسؤولية رؤساء بعض هذه الأجهزة تفاديا من تكرارها ، ونحن نعرف من قبل أن بعض تقارير لوبيز التى أرسلها لو - روى الى الأجهزة المختصة الأخرى كانت تتضمن بدرجة كافية أدلة تدعو الى القلق ، تلك الأدلة التى كان لابد لها أن تعيى اهتمام الكولونيل بومونت واهتمام الجهاز المنوط بالاتصال مع الشرطة ، وأن تحثهم على ابلاغها الى الشرطة حتى يتسعى لها أن تتخذ فى الوقت المناسب الاجراءات اللازمة .

ونحن نعرف أيضا انه عندما قام لوبيز ولو - روى - بهدف التماس العذر لجرمهم - والكولونيل بومونت - لتبسيير تقصيه واهماله - بالاتجاه ، كظرف يقبل الصفح ، الى اللقاء السياسي المزعوم بين الشخصيات المغربية وبين المهدى بن بركة - فانهم لم يكونوا صادقى النية ، وأنه عندما قام لوبيز ولو - روى بدور البريء المخدوع على حين أصرآ على انهم كانوا يعتقدان انهم

وين عاشر المغرب وانى اشتركت فى هذه المحادثات ، و كنت من ناحية اخرى مكلفا بالتحقق من الاتصال بين صديقى المهدى بن بركة الذى كان فى الخارج آنذاك وبين باقى المسؤولين المقيمين فى المغرب ، لذلك كله أظن أنه فى استطاعتي أن أوضح المحكمة بصورة وافية الأمور المتعلقة بهذه القرينة السياسية وبهذا اللقاء السياسي ٠٠

فهذه القرينة السياسية المشار إليها لا تغطى سوى فترة قصيرة ، من أواخر شهر مارس حتى نهاية شهر أكتوبر . وأعتقد أن تلك القرينة السياسية فى حاجة إلى أن توضع داخل القرينة السياسية العامة الخاصة بالسنوات العشر الماضية (أو بالسنوات العشر الأولى من استقلال المغرب ٠٠)

ومن ناحيتي ، فاني سأقتصر فقط على الإعلان عن نوع من ظاهرة كانت واضحة دون تبدل خلال هذه السنوات العشر الماضية فى المغرب والتي يمكن اعتبارها أيضا على أنها النظرية السياسية فى المغرب : ففى كل مرة يعبر الشعب المغربي بطريقه ما عن معارضته لسياسة الحكومة وعن تمسكه بموافق حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية - تنقض حملات القمع على منظمتنا وعلى الزعماء وخاصة على المهدى بن بركة (٠٠٠) !

وكما سبق أن ذكرت فإنه عندما أصيب ملك المغرب بهزيمة فى الانتخابات التشريعية فى شهر مايو سنة ١٩٦٣ كانت النتيجة نسخ « مؤامرة » شهر يوليو سنة ١٩٦٣ التى أقحم اسمى فيها ، وإذا كنت أنا واقفا هنا اليوم وإذا كان لي الحظ فى أن أظهر أمامكم - فإنه يجب أن أقول : إن ذلك انما كان بفضل الرأى العام العالمى والرأى العام资料 فى الذين ساعدانى على الخروج من السجن ، وانى انتهز هذه المناسبة لكي أقدم لهم عظيم شكري .

كامل لها فى الكراست الأولى التى أصدرتها اللجنة (١) برئاسة شارل - اندريله جولييان . كما أن الأستاذ يوسف رئيس هيئة المراقبة ورفيق المهدى بن بركة وعضو الكتابة العامة لحزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، قام فى تلك الوثيقة أمام المحكمة باعطاء صورة مثيرة لتلك الفترة التى كانت تحاك خلالها المؤامرة ضد المهدى بن بركة .

ونحن ننقل هنا مرة أخرى مقتطفات من تلك الوثيقة ليتسنى للقارئ أن يدرك التقصير الجنائى الذى ثبت ضد الأجهزة السرية الفرنسية :

شهادة الأستاذ يوسف رئيس هيئة المراقبة (مقتطفات)

« اللقاء السياسي » و « القرينة السياسية » إنما هما عبارتان أو دافعان موصلان كثيرا ما استشهد بها وتردد ذكرهما ، سواء على مستوى التحقيق أو هنا أو كذلك على لسان المتهمين وعلى لسان بعض الشهود المختربين من سبقونى إلى هذه المحكمة ، كما أنى أظن بالنظر إلى اللقاء السياسي انه قد كانت القرينة السياسية أساسا لأسابيع الدفاع عن المتهمين ، وأنها كانت أيضا تفسيرا وتبريرا مقدما من بعض الشخصيات لتفسير تراخيصها أو استكمانها . وأقل ما أستطيع أن أذكره ، باعتبارى عضو الكتابة العامة لحزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، هو أننى كنت على علم بالعلاقات والاتصالات التى كانت تدور بين الحزب

(١) لجنة اظهار الحقيقة من حادثة المهدى بن بركة .

وعندما مثلنا أنا وأصدقائي أمام جلالته قمنا بتقديم الشكر له الفتة التي قدمها بالعفو عن جميع المعتقلين ، ورحينا بهذه الفتة بوصفها عملا من شأنه أن ينقى الجو السياسي في المغرب ، وإن يفتح الطريق إلى التعاون بين جميع القوى في المغرب .

وقال لنا جلالته :

« كنت أود لو أن أستاذى في العلوم الرياضية والذي أنا مدین له لنظامي السياسي والوطني – عاد أيضا إلى المغرب ، ولكن لم افهم لماذا لم يرد على اقتراحى ؟ هل يخشى فخا ؟ »

وقدمت أنا بنفسي بالاجابة عن ذلك السؤال بقولى :

« مولاي ، لابد أن سفيرك قد ذكر لك أن المهدى بن بركة موافق على العودة إلى الوطن وأنه بمجرد أن تسمح له ارتباطاته الدولية بذلك سوف يأتي للانضمام إلينا ». ثم أضاف قائلا : « وإذا كان مولاي يصر على أن يعود غدا فاننا على استعداد لاعادة النظر في هذا الموضوع » .

وبعد ذلك أجاب الملك قائلا :

« مدام المهدى لم يعد في الفترة التي حددتها له ، فإن الأمر لم يعد له أهمية في الوقت الحاضر » (٠٠٠)

وخلال هذا اللقاء التاريخي ذكر لنا جلالته شيئا احتفظت به مع ذلك ، فقد قال :

« إن السياسة غالبا ما يجري تعليلها بالعلامات ! »

وتبقى واقعة أخيرة ونجد أنفسنا مباشرة في قلب الموضوع : إلا وهي الاضطرابات التي وقعت في يوم ٢٣ من مارس سنة ١٩٦٥ فهذه الأحداث التي وقعت في ذلك اليوم أفضت كما تعلمون إلى مجزرة في شوارع الدار البيضاء (٠٠٠) !

وكانت أحداث شهر مارس صدمة بل وأعنف صدمة سياسية يتعرض لها المغرب منذ استقلاله .

وبعد تلك الصدمة قام الملك باستدعاء صديقى بوعبيد وأبرق إلى سفيره في باريس للاتصال بالمهدى بن بركة .

وفي يوم ١٣ من أبريل أعلن رئيس دولة المغرب في خطاب له عن عفو عام ، وفي يوم ٢٠ من ذلك الشهر قام القصر الملكي ب Redistribution مذكرة على الأحزاب السياسية وعلى المنظمات النقابية تتضمن خطة برنامج .

وفي يوم ٢١ (وذلك لم نكن نعرفه آنذاك) كان محمد أوفقي يعد العدة مع أصدقائه الفرنسيين في أحدى غرف فندق كرييون « لاختطاف المهدى بن بركة ! »

وفي يوم ٢٥ من أبريل اجتمع ابن بركة مع السفير مولاي على ، وهو ابن عم الملك ، في مسكن شقيقه عبد القادر في فرانكفورت (٠٠٠)

وكنت مع المهدى بن بركة ، قبل اجتماعه بمولاي على ثم قابلته مرة ثانية بعد لقاءه مع السفير الغربي ، وكانت ضمن أعضاء الوفد الذي تباحث مع ملك المغرب في يوم ١٩ من مايو ،

الكونية ، كما أن المغرب قد شرع بالفعل في إجراء محادثات مع أحدى الدول الكبرى الأجنبية لايجاد حل الفائض لامداده بالسكر .

٤ - إن أحد مدیري أحدى الجرائد اليومية في الدار البيضاء قد تعرض لمضايقات شديدة على يد الملك لنشره اسم المهدى بن برکة ، ولتحذثه عن نشاطه كرئيس اللجنة التحضيرية المؤتمرة للقارات الثلاث !

٥ - كانت تظهر في صحفتنا كل يوم تفاصيل عمليات القمع التي كان يتعرض لها مناضلو حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية .

٦ - تمكنت أنا شخصيا من مقابلة الدبلوماسيين الأجانب المقيمين في الرباط ، وقد ذكر هؤلاء أيضا أن الحالة آخذة في التدهور .

٧ - قمت أنا شخصيا بمصارحة الأزموري ، وهو أحد وزراء جلالة الملك ، حول الوضع وقلت له : إننا من ناحيتنا قدمنا تضحيات كثيرة وإننا أدينا واجبنا بكل أخلاق وعلى الوجه الأكمل غير إننا كنا نحس بأنه ، من ناحية أخرى يحرى تدبير مؤامرة !

٨ - قمت بمقابلة صديقنا جان روہ ، مستشار الرئيس سنجور وصديق ملك المغرب ، بالأمر ، وقد توصل كلانا إلى النتيجة نفسها وهي إننا كنا متوجهين نحو تجربة مضادة .

ولا أستطيع أن أفهم كيف يمكن في تلك اللحظة أن تكون وكالة المخابرات الفرنسية الجهة الوحيدة في العالم التي لم تكن تدرك خطورة الموقف في المغرب ؟

ففي الحقيقة - اعتبارا من شهر يوليو - سرعان ما قدم بتسيجيل عدد معين من « العلامات » . فلو أنها كانت نجهل المحاذيف في فندق « كرييون » ، في يوم ٢١ من ابريل ، ولو أنها كانت نجهل أيضا اقامته لوبيز في المغرب حتى قبل أن أقدم تقريرا عن اتصالاتي بالمهدى بن برکة - لم يكن في الامكان - اعتبارا من شهر يوليو - سواء لنا أو لأى مراقب شريف - أن نجهل أن هناك التهدئة هذا الذى أوجده العفو العام قد تذهب بسرعة فائقة حيث أنه كانت هناك قوى رجعية داخل المغرب تقف في طريق ذلك الحل » (٠٠٠) !

واعتبارا من شهر يوليه رأينا الموقف يتدهور من سيء إلى أسوأ :

١ - أولا فان قرار العفو العام لم ينفذ .. فالكثير من المعتقلين الذين كان ينبغي أن ينتفعوا به لم يطلق سراحهم ، كما أن نص القانون الذى كان مفترضا أن يعطيه الصيغة القانونية لم يصدق عليه مطلقا على حين بدأت عمليات القمع تسود المغرب بأكمله !

٢ - وقع حادث غريب في السفارة المغربية في بيروت تحدث عنه جميع الصحف العالمية ذلك الذى بشانه ذكر اسم المهدى بن برکة في ذلك الوقت : فقد كان الأمر يتعلق بعملية اختطاف شخص كان يتجنّب التعذيب لأن القوى نفسه من تأفة سفارة المغرب وفى ذلك الوقت كنا قد أعلنا بصورة تنبئية : « أنها أما عملية اختطاف أو اغتيال ! » .

٣ - علامة أخرى : صرخ وزير الخارجية المغربي لاحقا الدبلوماسيين أن المغرب قد أجل ارسال سفيره الى كوبا بسبب الاستقبال الذى كان مخصصا للمهدى بن برکة من جانب السلطان

الجزء الثاني

الشهود لصلاح المهدى بن بركة
والقضية

أمانويل داستييه دو لا فيجري

(وزير الداخلية السابق)

كنت أعرف المهدى بن بركة .. قليلا .. ولكن بدرجة كافية تسمح بأن أكتشف فيه رجلا حرا وواضحا ومقداما ، فقد كان من كبار المفكرين فى العالم الثالث ، وكان يعرف كيف يحافظ على حريته ، وكيف يتتجنب وصاية المذاهب الفكرية والتكتلات .

وكما سبق أن ذكرت فى مكان آخر على شاشة التليفزيون ، فإن قضية المهدى بن بركة إنما هي قضية كريهة الرائحة ، وإن الرائحة الكريهة تأتى من المغرب ، غير أنها كانت تشمل تورطات فرنسية مما تهم جميسع الفرنسيين ، وعلى الرغم من أن تلك التورطات قد تبدو مبتدلة ، الا أن الكثير منا يظن أنها ليست ثانوية .

ومن سوء حظ هذا البلد أن تلك الأسابيع الأولى من جلسات محكمة الجنويات العليا لم تبدد هذا القلق ، فالإجراءات التى اتخذها الجنرال ديوجول قد أعطتنا آمالا كبيرة ، وفضلا على الوعد بالعدالة والحقيقة ، فقد بعثت تلك الأفعال على الرضا : كقصر عمل وكالة المخابرات الفرنسية على الغرض من إنشائها (المخابرات العسكرية ومكافحة التجسس) ، واقالة رئيسها الجنرال جاكبيه ، والاجراء الثاني يتعلق بالاصلاح الشامل لأجهزة الشرطة ، وقد تم احكامه اليوم ، وسوف يصبح حقيقة عما قريب . ولن نصدق أن ذلك

في الخدمة وقت حادثة اختطاف المهدى بن بركة فهل كنت تأمر بالقاء القبض على أوفيقى فى ٣ من نوفمبر سنة ١٩٦٥؟

كلا .. ما كنت أقيت القبض عليه .. غير أنه كان يمكننى أن أطلب إلى الوزير المغربي أن يبقى في فرنسا لمدة أربع وعشرين ساعة أخرى لكي أحصل على ايضاح معه على مستوى عال ، وكان ذلك يثبت حسن نياته ، وكانت هذه طريقة أفضل بكثير من تلك الطريقة التي كانت تتطوى على ارسال مسئول كبير ومحترم إلى حفل عشاء السفير المغربي ، ذلك المسئول الذى ضغط على مرافق أوفيق ثم سأله بلا تكلف : «ما رأيك في حادثة المهدى بن بركة؟» وبالمثل كان في الامكان احتجاز الدليمي رئيس ادارة الامن المغربي الذى كان يملك مفتاح القضية للتحدث لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات مع أحد كبار المسؤولين الفرنسيين ، مع أوبير على سبيل المثال ..

ومع احترامي التام لهيئة المحكمة ها هي ذى ملاحظتى الثالثة : ان من نكبات حادثة المهدى بن بركة أن التحقيق كان مختصرا للغاية ، ولو كان التحقيق قد أجرى بصورة أكثر اتقانا وعمقا لأصبحت المشكلات الصعبة الكثيرة التي اعتبرت سبيل المحتفين أكثر وضوحا ، وانى لأعلم جيدا أنه قد جرت تحريات تكميلية ، ولكنها كانت تحريات مختصرة تدعوا إلى السخرية ، وفي أيام جريمة قتل ترتكب لأسباب عاطفية فإن التحقيق غالبا ما يستغرق ما بين اثنى عشر شهرا وثمانية عشر شهرا .. وفي أكبر قضية فى السنوات الماضية اعتبر أن ستة أشهر كانت كافية .. غير أن الجهاز لم يكن يتلاءم مع سياسة فرنسا وسياسة الجنرال ديوجول ..

وانى لأشعر بالانزعاج حينما أفك أن بعض كبار رجال الشرطة تمكنا من تحدى النائب العام ، ثم أصقوا به مسئولية الابطاء الذى أغارهم من تقصير ارتكبوه وحدهم ..

الاصلاح فى أجهزة الشرطة يقصد سوشون وفوواتوه فقط ، فان المسألة تتعلق باللغاء الازدواج واللغاء دولة داخل الدولة ، مثلما أصبحت عليه حكمدارية الشرطة الى حد ما ..

لماذا صعد المهدى بن بركة إلى سيارة ضابطى الشرطة ، وكان المهدى بن بركة - عندما تعرفت به - عديم الشقة بفرنسا التي كانت لا تزال في نظره الدولة المسئولة عن استعمار ومحاربة الجزائر . وقد تخلى عن سوء الظن هذا منذ ظهور موقف السياسة الفرنسية تجاه العالم الثالث وتوقيع اتفاقية السلام فى افيان ، فقد أعطته سياسة رئيس الدولة الثقة .. ويجب أن نعيد إلى الأذهان العبارة الأخيرة التي نعرفها عن المهدى بن بركة وهى التى نطق بها قبل أن يصعد إلى السيارة ، فقد قال : «هل أنتما ضابطا شرطة فرنسيان حقا؟» ..

وأود أن أبدى ثلات ملاحظات أمام المحكمة :

الملاحظة الأولى هي أنها سمعنا كثيرا هنا عن «سر المهنة» و «سياسة الدولة» ، فان سياسة الدولة انما هي من شأن جميع الحكومات ، ولكن يجب ألا يساء استخدامها ، ولا أن ترتكب الأخطاء عند تطبيقها ! وانى لأعتبر أن بعض أعضاء الحكومة قد أخطأوا عندما ترافقوا في اظهار العدالة بعدم القاء القبض فورا على سوشون وفوواتوه ، ولو كانت التورطات الفرنسية قد تم الاعتراف بها لكننا فى مركز أكثر قوة للتحدث مع ملك المغرب ..

وفيمما يتعلق بهذه التورطات فإنه من المؤكد أن ملك المغرب وأوفيق يعلمان عنها مثلما نعلم نحن !

الملاحظة الثانية أوحى بها لى سؤال وجه لى على شاشة التليفزيون ، فقد سئلت : «انك وزير سابق للداخلية .. لو كنت

وليس من اللائق لي أن انطق بهذه العبارات الأخيرة : فانا الذى أقل الأشخاص تلما ، أحذر اليوم كل لون من الوان التساهل لأولئك الأشخاص الذين هم فى الحقيقة مذنبون ، ان ذلك التساهل ضار بالحقيقة : فان القصاص الطويل سوف يدفعهم الى الكلام .

ولكن ما الحقيقة ؟ انا نعرف أن الجنرال أوفقيير يحبسها! وهناك شخص آخر يعرفها منه ويحتجزها ! ولكن لا يريد أن يعطي العدالة او فرنسا ايها لأنه شريك فى الجريمة : انه ملك المغرب !

كان المهدى بن بركة من الأشخاص الذين يرون منذ بضع سنوات أن هذا البلد - على الصعيد الدولى - ولا أريد أن أشير الى السياسة الداخلية الفرنسية أو أن أقيمها - قد نجح فى تمثيل الآمال والحوافز لأولئك الذين ، كالمهدى بن بركة ، كانوا يريدون تجنب الصدام الدولى ، وكانوا يريدون تنفيذ سياسة سلام تقوم على أساس فهم تام لاحتياجات دول العالم الثالث ونظمها الفكرية .

تقابلت مع المهدى بن بركة قبل اختفائه ووفاته بأسابيع قليلة حيث تحدثنا عن رحلته المرتقبة الى باريس ، ولكننا لم نتحدث عما سيفعله هناك ، بل طرقنا المشكلة من ناحية الموقف السياسي ومن ناحية الأمن . ونحن قوم معتادون على طرح المشاكل بلغة الأمن . فقد قال لي - ويجب أن أعترف بأننى كنت متفقا معه - بعد أن عبر عن تقديره ، والذى أضمن اليه تقديرى للسياسة الدولية لفرنسا ، قال انه فى ذلك البلد يشعر المرء بالأمان .

وانى لواتق من أنه حدث فى فرنسا فى يوم معين من أيام شهر أكتوبر ، أن المهدى بن بركة كانت لديه الفرصة لكي يتخد بصفة عاجلة للغاية فى بضع ثوان قرارا سياسيا . ولا أرى كيف يقبل

المهدى بن بركة أن يساق برأى بعض ضباط الشرطة إلى لقاءات سياسية ؟ وان المشككة تطرح نفسها أمام قوم مثلنا : انهم بالأحرى بعض الشخصيات الدبلوماسية في سويسرا من اختناتهم لهذا النوع من الاتصالات ، وقد تم الاتصال بالمهدي بن بركة بصورة مباشرة بوساطة سفير بلده ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى وسطاء .

ولتكن أفهم تماماً المهدى بن بركة الذي كان عليه بطريقة ما أن يكون حكماً سياسياً : فحينما استدعاه ضابطاً الشرطة اللذان أبزوا الدليل على وظيفتهما ، فاني واثق من أنه قد تصرف مثلما كنت أتصرف شخصياً ، وحينما يكون المرء صديقاً لفرنسا ، وحينما يحترم السيادة الفرنسية ، وحينما يستدعيه ضابط الشرطة ويقول له : « اني استدعيك لكي أبعدك عن البلاط » أو « اني استدعيك لكي أقودك إلى مكان ما أو إلى Quai des Orfèvres أو إلى مكان آخر » ، فان أمامه أن يختار لكي يتصرف في بعض ثوانٍ : اما المقاومة وإثارة الفوضيحة ، واما أن يقول لنفسه : « اوه ! أنها حادثة سخيفة وقليلة الأهمية .. ولكن يمكننا تسويتها فيما بعد ! » .

وفي الواقع الأمر انى أعتقد أن الرأى السياسي الأخير الذى كان على ابن بركة أن يتخذه قبل اختفائه بالرغم من ضباط الشرطة الفرنسيين - كان رأى ثقة فى فرنسا .

عنمانى سيانفوبيجوس (الوزير الكوبى السابق)

كان عنمانى سيانفوبيجوس وزيراً سابقاً في كوبا ، وهو رفيق للزعيم فيدل كاسترو منذ زمن طويل ، ولكنه قبل كل شيء الأمين العام لمؤتمر القارات الثلاث حيث كان المهدى بن بركة يرأس لجنته التحضيرية .

(٤٠٠) حضر المهدى بن بركة الى هافانا ، وهناك تمكنا من تبادل الآراء حول الحدث الذى كان يجري الاعداد له ، ثم تحدثنا عن ضرورة التخطيط للمؤتمر الأول الذى كان ينبغي أن يكون الاستراتيجية الشاملة للشعوب ضد الامبرالية .

وقد تحدثنا كذلك عن الاخطار التي تحدق بأعمال ذلك المؤتمر وعن الضرورة بأن يكون رئيس اللجنة التحضيرية الدولية حريصاً على حياته ، وقبل انعقاد المؤتمر بشهرين وقعت حادثة اختطاف واغتيال المهدى بن بركة ، فكيف يمكن المرء أن يصدق أن ذلك الاختطاف وذلك الاغتيال السياسي لا صلة لهما بالنشاط السياسي الرئيسى الذى كان يقوم به المهدى بن بركة في ذلك الوقت ؟

ان كل من كان يعرف طريقة تفكير المهدى بن بركة والأهمية التي كان يعلقها على المؤتمر وان أولئك الذين كانوا يحسبون انه لم يعد يعتبر زعيمياً سياسياً وطنياً وانه قد أصبح زعيمياً للقارات

الثلاث - لم يستطع أولئك أن يفصلوا حادثة اختطافه واغتياله عن العلاقة الخاصة بالمؤتمر الأول للقارات الثلاث .

ووضع المهدى بن بركة كفاح شعبه جنبا إلى جنب مع كفاح شعوب القارات الثلاث ، فقد كان يدرك كفاح شعبه تماماً مثلما كان يدرك كفاح الشعوب الأخرى .

على أن أولئك الذين كان يهمهم عدم انعقاد المؤتمر كانوا يدركون أهمية الدور الذي كان يؤديه المهدى بن بركة في هذا الحدث ، فقد كانوا يعلمون أن ابن بركة كان عاملًا من عوامل الوحدة في الكفاح الذي تقوده القارات الثلاث ، كما كانوا يعلمون أنه في تلك اللحظة كان المهدى بن بركة عدوهم الأول !

فهل من الممكن أن يكون أولئك الذين دبروا ونفذوا جريمة اختطاف المهدى بن بركة واغتياله قد ارتكبوا خارج ذلك الإطار ؟

لا يستطيع المرء أن يصدق أن الأمر كان يتعلق فقط باغتيال الزعيم السياسي المغربي ، بل كان يتعلق في الحقيقة باغتيال الزعيم السياسي الدولي ، وينبغي أن نفكر أن تلك الجريمة قد ارتكبت بموافقة واشتراك العدو الأول للشعوب ، وهل من الممكن أن نصدق أنها تمت دون اشتراك وكالة المخابرات الأمريكية ؟ .

كان سليمان رشيد الخشن وزيراً سابقاً للإعلام والارشاد في الحكومة السورية ، وهو حالياً عضواً في لجنة الثقافية لحزب البعث ، وكان يعرف المهدى بن بركة جيداً ..

ان معرفتي بالمهدى بن بركة توطدت خلال الزيارات التي كان يقوم بها لسوريا ومن خلال الاتصالات التي كان يجريها مع أعضاء حزبنا ، وكانت تلك الاتصالات تهدف إلى إحياء وتوثيق الروابط بين حزب البعث وحزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية الذي كان يمثله .

وتوطدت علاقاتنا باطراد نظراً لأنه كان لنا هدف مشترك ، وهو صراع الطبقات ضد الإمبريالية ضد الرجعية .

وقد وقع اختيار الثوار العرب على المهدى بن بركة ليكون ممثليهم في مؤتمر القارات الثلاث ، وهكذا دخل المهدى بن بركة في صراع مع قوتين : قوى الرجعية في الدول العربية ، وقوى الإمبريالية العالمية .

وفي الوقت نفسه كان المهدى بن بركة ورفاقه يخوضون الكفاح ضد الرجعية داخل بلادهم من أجل تحرير الشعب المغربي . وحينما كنت وزيراً للإعلام في دمشق ، وعلمت بحادثة اختطاف المهدى بن بركة ، كان أول شيء يخطر بي إلى هو أن أولئك

الذين كانت لهم مصلحة في اختفاء المهدى بن بركة كانوا ، أولاً :
الرجعية العربية ، ثم الامبرialisية العالمية ، والرجعية المغربية .

وكان هدف الامبرialisية العالمية من اختفاء المهدى بن بركة هو
تخريب مؤتمر هافانا ، وكان هدف الرجعية العربية هو انقسام
شعوب المغرب بمساعدة الحلف الاسلامي !

وقد ظنت الرجعية المغربية أنه باختفاء المهدى بن بركة فانها
قد تخلصت من عدو قوى للغاية ، لذلك افانتنا نعتقد أن أولئك
المسئولين عن اختفاء المهدى بن بركة إنما هم الامبرialisيات العالمية
والرجعية العربية والرجعية المغربية .

والفكرة الثانية التي خطرت ببالى هي أن الشعوب الحرة في
العالم أجمع كانت تجد دائمًا في فرنسا ملذاً ، وذلك منذ القرن
الناسع عشر ، ونحن ندرس في مدارسنا كيف أنشئت في فرنسا
مؤسسات حرة ، ونحن ندرس مبادئ الحرية التي كانت فرنسا
دائماً من أبطالها ، فما الذي سوف نقوله الآن لطلبتنا وتلاميذنا
عندما يعلمون أن زعيماً وقائد ثورة وزعيماً تقدمياً قد أغتيل ، أو
اختطف في فرنسا وعلى يد رجال من إدارة الأمن الفرنسية ؟ .

تعرفت بالمهدى بن بركة جيداً في شهر يوليه وفي شهر
أغسطس عام ١٩٥٥ عندما كنت وزيراً مقيماً لفرنسا في المغرب .

وقد بدا لي المهدى بن بركة على الفور أنه رجل غير عادي ،
فهذا الطالب السابق بكلية « جوروج » الذي هنأه الوزير الفرنسي
المقيم عند اتمام دراسته الثانوية – كان فيما يليه رجلاً جديراً
بالاعتبار بشكل فعال سواء لمدى ثقافته أو خفة روحه .

وكسر جلبي طني جلب له نشاطه من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٥٤
إقامة جبرية لمدة ثلاثة سنوات ونصف السنة – فان ذلك لم يقلل
من حبه لفرنسا ، وكان في استطاعتي أن أثبت ذلك وأشهد عليه
اليوم ، وفي الاجراء الذي اتخذه من أجل عودة السلطان والعائلة
الملكية المنفية لم يحظ مطلقاً في ذلك الوقت أقل اجراء ، ولم
أسمع أقل حديث مما يمكن أن يمس إلى بلادنا .

وكما ذكرت فقد كان يناضل من أجل عودة السلطان المنفي
وبالمثل من أجل استقلال بلاده ، بل من أجل استقلال يكتسب
تدريجياً ولا يضر مطلقاً بالعلاقات بين فرنسا والمغرب .

ومن المؤكد – وكان في استطاعتي أن أثبت ذلك على مر
الستين التي تعاقبت ، أو كانت الفرصة تناح لي من وقت لآخر
لكي أقابله عندما كان يمر بباريس – من المؤكد أن المهدى بن بركة

كان يحب فرنسا بقدر ما كان يحب المغرب ، وانى لاعتقد انه لو كان فى الامكان أن يحده قلبه عن عملية الاختطاف التى راح هو ضحيتها لتوقع بلا ظروف الاختطاف وعواقبها بقدر ما كان يتوقع مدى ما كان يمكن تلك العواقب أن تؤثر فى العلاقات بين فرنسا والمغرب ، تلك العلاقات التى كان يريد من دون شك أن يحافظ عليها أكثر من أى شيء آخر .

وانى سعيد بأن النائب العام قد أتاح لي الفرصة لكي أدلى بهذه الشهادة بشأن رجل كانت تربطنى به صداقة متينة ، و كنت أكن له عظيم احترامى .

كان ألان سافارى بصفته وزير الدولة بوزارة الخارجية والمسئول بوجه خاص عن الشئون الغربية والتونسية قد أجرى مفاوضات بشأن الاتفاقيات التي بمقتضاها حصل المغرب على استقلاله فى شهر مارس عام ١٩٥٦ .

عندما رأيت المهدى بن برkeh مرة أخرى فى ١٦ من اكتوبر عام ١٩٦٥ فى القاهرة فى أثناء مأدبة عشاء أعدتها أحد الأصدقاء الجزائريين ، بدا لي أن المهدى بن برkeh كان لايزال مشغول البال كثيرا بما كان يدور فى المغرب ، وأنه كان يتصور - ليس من أجله فحسب بل من أجل حزبه - أنه يمكن أن يحدث الافتراض بتولى المسؤوليات ، وكنا نبحث معا الظروف التى يمكن أن تسود لكي يتعاون حزب الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية من جديد فى بناء المغرب ، وهذا هو الموضوع الرئيسي الذى كانت محادثاتنا تدور حوله .

وفى الوقت نفسه أود أن أضيف شيئاً كان قد اتخد وضوها معينا ، عند التأمل فيه وعقب الأحداث التى تعاقبت منذ ذلك الحين : فحينما قمنا بمقارنة علاقات الحركات الوطنية فى المغرب بفرنسا أثبتنا أن المغاربة - برغم بعض الفترات الصعبة أحياناً - قد احتفظوا دائماً بروابط مع اتجاه السياسة الفرنسية مما يبين أنهم كانوا يشعرون فى باريس بأنهم قريبون من الفرنسيين .

وبالنسبة لرجل مثل المهدى بن بركة ، وقد كنت أخذت موعدا
معه لقابلته مرة ثانية فى باريس ، لم يكن يبدو له أن سلامته يمكن
أن تكون معرضة فورا إلى الخطر بالنظر إلى أنه يفرنسا جهاز
شرطة وجهاز قضائى فرنسيان كان المهدى بن بركة قد وضع فيهما
ثقته !

جاك بيرك (الأستاذ بالكلية دوفرانس)

يعمل جاك بيرك رئيساً للأستاذية علم الاجتماع
للعالم العربي في الكلية دوفرانس ، وهو مؤلف أعمال
كثيرة عن علم الاجتماع والاسلام ، وقد نشر بالإشتراك
مع المهدى بن بركة كتاباً عن الاصلاح الزراعي في
المغرب ، وقبل أن يتضمن إلى المجلد الجامعى كان بيرك
تابع للحكومة . وقد مارس خلال سنوات طويلة أعمال
المحافظ في المغرب ، واستدعى للاستشارة في كثير
من دول العالم الاسلامي وعلى وجه المخصوص في اليوم
التالى لاستقلال المغرب . وكان الأستاذ بيرك دائماً يحمل
ضيقاً على المهدى بن بركة في الرباط .

أنى أعرف المهدى بن بركة منذ حوالى ربع قرن : ففى عام
١٩٤٣ قمت بمعاونته بتنظيم رحلات للطلبة المغاربة المتفوقين داخل
بلادهم ، تلك البلاد التي كانوا يحاولون اخفاءها عنهم ، فكانت
تلك الرحلات تبدو بالنسبة لهم ، مع الأسف ، كما لو كانت عملية
الاكتشاف !

وكان ذلك هو أساس صداقة لم تضعف مطلقاً ، وكان المهدى
ابن بركة متضلعاً في الرياضيات بصورة متألقة . ولمس فيه مدير
المعهد العلمي الشريفي (المغربي) ذكاء خارقاً لم يصادفه في حياته
مطلقاً ، وينحدر المهدى بن بركة من عائلة فقيرة . وقد روى لي
بنفسه أنه فى طفولته كان يضطر إلى استذكار دروسه وعمل

الواجب المنزلي جالسا على درجات السلم المظلم في منزله تحت نور شمعة ، وكان دائمًا وفيا للثقافة الفرنسية .

ولا يرى البعض في تحرير الشعوب المستقلة حديثاً سوى تمرد ضد الدولة التي كانت تستعمرهم . وأود أن أذكر ، استناداً إلى المثال الخاص بالمهدي بن بركة أنه كان أيضًا وفيا في ذلك التمرد ، فهذا المجاهد كان يمثل نجاح الثقافة الفرنسية في المغرب ، غير أنه كان على ذلك النجاح أن يجتاز عدة تحالفات نتيجة عدم الارتكاك الذي لن أتعرب له هنا ، وكان الكثير من أصدقائنا يعتبرون أن الاحتمال ذاته مستقبل فرنسي — مغربي قد يضليل بانفصالم عن فرنسا .

ثم قابلت المهدي بن بركة مرة أخرى في باريس خلال المفاوضات التي أدت إلى الاستقلال ، وعندما تلقيت الدعوة لزيارة المغرب قابلته هناك ، وكم من مرة ألح على بالأسئلة عن الواقع التاريخي والعماني للمغرب ! وكان يتوقع — تماماً كأصدقائه ، رافضًا النواحي السلبية التي فرضها الاستعمار — أن يستخلص نواحي فرنسا الإيجابية ، ولكونه مخلصاً لمعتقداته أخذ يبحث عنها بوجه خاص إلى جنب العلوم والثقافة .

ولم يكن يتوقف عليه في ذلك الوقت أن المغرب لم يتلزم طريقاً مدروساً دراسة منطقية ، وكانت أحدى البعثات الاستشارية التي قادتنى إلى الرباط في إطار إنشاء العلوم السياسية قد أتاحت لي عدة مناسبات للالتقاء به ، وهكذا استمرت الحال كل عام ، وحتى هنا كان المهدي بن بركة يشارك في أحدى حلقات الدراسات العليا التي كنت أشرف عليها ، وقد تعاوننا بالفعل في إصدار أحد المجلدات .

وقد خسر المهدي بن بركة مقعده كرئيس لجمعية الوطنية في ظروف ليس من شأنى أن أقوم بتحليلها ، وكنت أتمنى ذات مرّة

أن يواصل مهنته العلمية اللامعة وأن يتم رسالة الدكتوراة ، وكان البعض من زملائي من بين كبار أساتذة العلوم يبدون اهتماماً كبيراً به . وكان يمكن أن يصبح أحد الباحثين في معهدنا القومي للبحث العلمي لو لم تطلب الواجبات الأخرى في أماكن أخرى .

وهنا تتدخل ميزة ثانية من مزايا خلقه . وحيث أنه لم يكن يتصور أي استقلال مما يرفض التعليم الفرنسي ، وبما أنه كان يعتبر ذلك الاستقلال على أنه من ناحية كما لو كان موجهاً ضد فرنسا بقدر ما كان موجهاً ضد موقف فرنسي — مغربي معين ، ومن ناحية أخرى موجهاً ضد ماضي مغربي معين مما صنع منه ثاثراً ، فإنه على حد سواء كان يفسر ما كان يسمى « بالقومية » (وهي في الحقيقة كلمة كريهة) بكيفية جعلته يتصور الأمة الحديثة أنها نافذة تطل على طريق « العالمية » أو « الدولية » . ومنذ ذلك الحين تخطى حدود إطار الدولة الواحدة .

وكان المهدي بن بركة يقرأ كل ما كان ينشر عن العلوم الاجتماعية أو الكتب المتعلقة بالعالم الثالث ، وكان يتمتع باطرداد في « أيديولوجية » وتجربة تصفية الاستعمار ، وأصبح مجاهداً ومفكراً للعالم الثالث ، وكان يدرك أن الاستقلال الرسمي ، أو القومية التي كان يتمسك بها لنفسه سوف يكون خالياً من المضمون ولن يكون (وأشهد هنا بأحد تعبيراته) — سوى تلميح ، غير أن المهدي بن بركة لم يكن يحب التلميح ولذلك فقد كان دائم النشاط نحو الاستقصاء والتحليل ، كما كان يضاعف من رحلاته إلى الدول العربية حيث كنت أسمع رجالها يتحدثون عنه كثيراً ، بل وفي أفريقيا وآسيا أيضاً ، وقد اتخذ لنفسه تلك الروح الخاصة بالتحليل التي نصفها « بالديكارتية » ، ثم وفق بينها وبين « نوعية » مغربية عميقة وواضحة .

وآخر مرة رأيته فيها كانت في القاهرة في ٢٠ من يونيو سنة ١٩٦٥ في الوقت الذي بلغنا فيه بـأقالة بن بلا ، وكان ذلك فالأ سيئا ؟ وكنا قد تناولنا الششاء معا ، وعندما دعته وجهت إليه الدعوة — مثلما كنت أفعل دائمًا — للحضور لمعاونتي في ندواتي الدراسية ، وكان ردّه على ذلك : « أنت تعلم كم أنا أعيش مهددا ! ثم تعانقنا وتركته . »

أن المغرب قد خسر فيه رجلا وطنيا ، أما العالم الثالث فقد خسر فيه رجلا سياسيا ، أما أنا فقد خسرت رفيقا ، وخسرت فرنسا صديقا ! .

كلود بورديه (الصحفي والمستشار العام لمحكمة السين)

ان المهدى بن بركة لم يذهب إلى فرنسا في غضون عدة سنوات ، وقد قابلته كثيرا في الخارج وبوجه عام في أثناء الاجتماعات والمؤتمرات ، وكانت أقول له وقت ذاك : « انه من غير المعقول الا تحضر إلى باريس .. ان باريس على أية حال لا جنيف هي المركز الذي يمكن أن يتم المرء فيه بالمسائل المغربية واعتبارا من سنة ١٩٦٢ كنت أضيف قائلا : « بالنظر إلى السياسة الفرنسية الراهنة واستقلال الجزائر — فاني لا أفهم لماذا لا تحضر إلى باريس ؟ وكانت دائما أتلقي الإجابة نفسها من المهدى : « انى لا أذهب إلى باريس لوجود خطر كبير هناك بسبب التواطؤ بين الشرطة الفرنسية والشرطة المغربية ! » .

ولم يغير رأيه الا اعتبارا من عام ١٩٦٤ فقط ، وحضر إلى فرنسا . ولو قدمت تعليلات في ذلك الوقت للتناقض الذي كان بين السياسة الفرنسية « العليا » والسياسة المتبعه حقيقة بوساطة الادارة والحكومة — ما الحجت على المهدى بن بركة بكل تأكيد للحضور إلى فرنسا .

وتيقنت رباطة جاشه هذه منذ العام التالي ، وفي الحقيقة تلقيت دعوًّا في ذلك الوقت مع بعض أساتذة اللغات الشرقيّة الفرنسيين ، مثل المرحوم وليم مارسييه والمرحوم ليفي بروفنسال والمرحوم ماسينيون للاشتراك في أحد المؤتمرات حيث كان علينا أن نناقش مع أحد الوفود المغربية الدور الذي ينبغي أن تؤديه الثقافة العربية في المغرب ، ذلك البلد الذي بدا يبحث عن نفسه وبدأ يتجه نحو مستقبل آخر غير محقق .

وانى لأذكر أنه في ختام المناقشة لم يتمالك ليفي بروفنسال من أن يبدى اعجابه ثم عبر بصورة علنية بما يحمله من احترام كبير للمهدى بن بركة .

وكانت تلك الاتصالات بالمهدى بن بركة ذات قيمة كبيرة بالنسبة لي ، اذ انه بفضل علاقاتنا استطعت ان الم جيدا ببعض المشكلات الثقافية أو الذهنية التي كانت تهم كلا من فرنسا والمغرب .

وفي عام ١٩٥٨ حينما كانت أمور كثيرة تجري في المغرب تقابلت مع المهدى بن بركة وهو أكثر وعيًا بأهميته ، ومثل المرحوم جاستون بيرجيه مدير التعليم العالى كنت على يقين من أن المهدى بن بركة يستطيع أن يؤدى دوراً كبيراً في الاتجاه الواجب التشدد عليه بالنسبة إلى الثقافة العربية في بلاده .

وأتصفح لى في ذلك الوقت أن الفضل الأكبر للمهدى كان في إيجاد ثقافة مزدوجة لا ثقافة أدبية أو لفظية بسيطة فحسب ، بل ثقافة مما تصل إلى الأعمق : بمعنى أنها ثقافة اللغة الفرنسية مما تتصل بالمواد الغربية البحتة .

ويضاف إلى ذلك أيضاً الشعور بأن ذلك الرجل الذي كان لم يزل شاباً كان لديه ثقافة بلغة وطنه لدرجة أن كثريين من الأدباء

ريجي بلاشير

(الأستاذ بجامعة السوربون)

ان ريجي بلاشير هو أستاذ فقه اللغات والأدب العربي ، مؤلف الكثير من الأعمال عن الإسلام وهي تعتبر حجة ، وكان يعرف المهدى بن بركة منذ عشرين عاماً .

في استطاعتي أن أتكلم بعض المرونة حيث انه بيني وبين المهدى بن بركة لم يكن في الامكان الافصاح عن صداقة بالمعنى الذي نفهمه ، وكان هناك في مقابل ذلك ظهر شيء ربما كان أكثر دواماً وأكثر عمقاً من الصداقة .. فقد كان ذلك الشيء تقاربًا معيناً للأفكار ، بل وأقول : الاحساسات العقلية .

وكان أول لقاء لنا في عام ١٩٤٥ . وكان المهدى بن بركة ي يريد مقابلتى ليوجه لي بعض الأسئلة عن بعض المشكلات التي تمس تعليم اللغة العربية وعن تشجيع الثقافة العربية الإسلامية ، ومنذ تلك اللحظة ظللنا على صلات فكرية ، وكانت قد تكونت عنه من قبل فكرة حسنة للغاية ، وكانت أحس بأنه كان يعرف الدور التي يمكن أن يقوم به .

وفي الحقيقة لم يكن يتعدى الخامسة والعشرين من عمره ، ولكن كان في استطاعته ذلك الشاب أن يقدر المسؤوليات التي كان عليه أن يواجهها يوماً ما .

تماما نحو ذلك الرجل الذى سوف أطلق عليه اسم «الزعيم» وهى
كلمة لا استحبها كثيرا .

ومن الجلى أن اختفاء ذلك الرجل إنما هو شيء مؤلم بل وانه
خاصة شيء لا يمكن أصلاحه الا بصعوبة متناهية حتى ولو كان
في استطاعة المرء ان يفعل ذلك .

ولن يكون من السهل لدى المسؤولين وبالخصوص لدى الملك
الحالى أن يقدموا لنا متحدثا ذا كفاية بل ذا كفاية للفاية فى
الثقافتين العربية والفرنسية مثل ذلك الرجل الذى اختفى
لتوه !

ولا أريد حقا ان أقدم اي عنصر عاطفى الا اننى أستطيع ان
أقول : اننى أنا الذى عشت فى خلال اكثر من اثنين وعشرين
عاما فى المغرب وساهمت فى تشكيل الناس بنفس الاستعداد
الذهنى الذى كان لدى المهدى بن بركة - أرى ان هناك نوعا من
الافلاس وهو لاشك افلاس مؤقت ، غير ان المؤقت يقع بثقله على
المستقبل ، ذلك الافلاس الذى سوف نقاسى منه لفترة طويلة ،
وينبئى ان نسير فى عكس التيار .. ولكن مع من ؟ هذا
ما لا أعرفه !

وبالنظر الى اعمالى وأيضا نسبة الى اننى أسافر كثيرا الى
شمال افريقيا فاننى فى موقف يسمح لي بأن اكتشف عن القلق
العميق الذى أثاره فى النفوس اختفاء ذلك الرجل .

وكثيرين من الشعراء كانوا يحسدونه عليها ، وكان ذلك هو الوقت
الذى كنا نأمل فيه لاسباب أخرى أن يقترب من المسؤوليات
الإدارية ، ولم يتذكر أحد من أن الملك «محمد الخامس» كان يفكر
فيه (ولا اعلم هل ذلك حقيقة ؟) - لكي يعينه وزيرا للتعليم
الأهلى ، غير أنه ينبئى أن أقول من جانبي : أن ذلك كان يبدو لي
اختيارا موفقا .

وأود ان أضيف على الفور انه كثيرا ما كان يقال : ان المهدى
بن بركة كان الرجل الذى يشجع التعريب بنوع من التطرف ، أعنى
انه كان يشجع اقامة ثقافة عربية معينة تؤدى بمرور الزمن ، بعد
جيلين ، الى طرد ثقافتنا باللغة الفرنسية .

كل ذلك كان زورا وبهتانا ، وانى لا اعلم ان المهدى بن بركة كان
يشعر حقا بأنه لا يمكن فى بلد مثل المغرب أن يتتجاهل المرء الأساس
العربى الاسلامى .

ومع ذلك أستطيع ان أؤكد انه - دون أن ينسى جميع الحقائق
الانسانية والذهبنية - لم يكن فى استطاعته كذلك ان يتوجه نحو
ماض بائد او أن يفكر فى ثقافة باللغة العربية فقط .

ومن المؤكد أن اختفاء ذلك الرجل يخلق لنا نحن الذين على يقين
من انه سوف تكون هناك أيام كثيرة قادمة تتلاقى فيها فرنسا
والمغرب - يخلق هوة سوف يكون من العسير ، بل ومن العسير
للفاية سدها .

وهناك مسألة أخرى قد تكون كذلك أكثر عمقا ، وهى الهوة
التي يجدها المرء من جانب المغاربة ، ولا اتحدث بطبيعة الحال عن
عامة الشعب الذين لا اعرفهم جيدا ، بل انى افكر فى جميع المثقفين
وجميع ذلك الشباب فى الجامعات المغربية الذين اتجهت اعينهم

هنريان دو شابوناي

ان هنريان دو شابوناي التي كانت تعرف المهدى بن بركة وعائلته منذ ١٩٥١ كانت تتعاون معه فى عشية الاستقلال وقد رأته مرة أخرى للمرة الأخيرة فى شهر يناير عام ١٩٧٥ وكان عليها أن تقابلها مرة أخرى فى الوقت الذى اختطف فيه .

وكان أيضا رمزا للتنسيق اللازم بين الأجهزة والوزارات التى ساهمت فى تنظيم موقع العمل وتسييره ، وقد كان قبل كل شيء الفرصة لاعطاء عشرة آلاف شاب ممن كانوا يعملون هناك الاحساس بالجهد وتشكيلا حضريا واقتصاديا وفي الوقت نفسه قاعدة لملائحة الأممية .

وكان المهدى بن بركة يعلق على التعليم وعلى التأثير أهمية كبيرة ، وكان يبحث في الوقت نفسه عن الاتصال المستمر بالعمل .

وأتبع تلك الفترة الخاصة بالجهود البناءة والتى كانت ضعيفة لاشك الا انه فى خلال تلك الفترة أصبح الكثير من الآمال شيئا ملموسا ، تبع ذلك سلسلة من مراحل لم يتوقف خلالها الموقف سواء السياسي أو الاقتصادي والاجتماعي عن أن يزداد خطورة ، ولا أود أن أروى تلك المراحل هنا ، ولكنني أريد فقط أن أثبت أنه فى خلال تلك السنوات كان الهدف بصفة مستمرة هو شخص المهدى بن بركة .

ومنذ أوائل عام ١٩٦٠ عندما تم اكتشاف « المؤمرة » الأولى ضد ولی العهد كان المهدى بن بركة هو المطلوب القاء القبض عليه وتوجيه التهمة اليه ، وكان عليه أن يعيش فى المنفى لفترة من الزمن ، وبعد ذلك وقعت « حادثة » السيارة المعروفة فى شهر نوفمبر عام ١٩٦٢ ثم « مؤمرة » شهر يولية عام ١٩٦٣ بعد شهرين من الانتخابات التشريعية التي تم فى خلالها انتخاب المهدى بن بركة فى أحد الأحياء الاهلية بالسكنان فى الرباط ، وكانت شخصيا بالغرب فى تلك الفترة ، وعشت الشدة التي عانت منها العائلات

كان المهدى بن بركة يبحث عن خطة حوار بين الفرنسيين والمغاربة ، وكان يهمه أن تدعم جميع المبادرات التي يعتقد أنها بناء ، بل وتقديم لها كل مساعدة ، ولم يتردد فى الاشتراك فى اللقاءات التي كان ينظمها الفرنسيون عندما وجد أن الغرض من تلك اللقاءات كان مفيدا ، وكان يرغب فى أن ينمى فى كل شخص روح القدام التي تنفرج على الأعمال البناءة .

وعندما تم اختياره رئيسا للجمعية الوطنية الاستشارية - وجد فى ذلك فرصة الاشتراك فى وضع نظام يمكن أن يكون أول مناسبة للتجربة الديمقراطية فى بلاده ، وكان فى ذلك الوقت (ربيع عام ١٩٥٧) أن خطرت له فكرة « الطريق الى الوحدة » ، وكان ذلك عبارة عن موقع عمل ضخم ورمزا للاستقلال ووحدة البلاد حيث ان الطريق قام بربط اقليمي المغرب اللذين كانوا حتى ذلك الوقت تحت السيطرة الفرنسية والاسبانية ، وكان رمزا كذلك للمجهود الذى قام الشعب بوضعه موضع التنفيذ فوق موقع كان على الناس من جميع أنحاء المغرب أن يتقابلوا من أجل العمل المشترك .

التي وجدت أنفسها بدون أبناء عن أولئك الرجال الذين اعتقلوا جميعاً في أثناء أحد الاجتماعات التي كانوا في خلالها يعدون للحملة القادمة للانتخابات العامة والبلدية .

واعتباراً من عام ١٩٦٠ بدأ المهدى بن بركة مضملاً مهندس الدولة ، وأثبت شيئاً فشيئاً أنه زعيم العالم الثالث ، وكان هدفه إعادة تجميع جميع القوى المشتتة من أجل خلق حركة تضامن تكون ممثلة وقوية بقدر كافٍ .

ان الأستاذ دريش يعمل مديرًا للمعهد الجغرافي في باريس وهو أخصائى واسع الاطلاع بمشكلات شمالي إفريقيا ، وكان يعرف المهدى بن بركة منذ وقت طويل حيث كان أستاذًا .

ان المهدى بن بركة قد قدم الى الخبرة السياسية للمغرب وغيره بعض النواحي السياسية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية سواء في المغرب أو في العالم ، وكذلك قدم حماسة وادراكاً ونشاطاً جديراً بالاعتبار ، وقد نقلت تجربته إلى جميع الدول الاشتراكية ، إذ انه كان قد ذهب عدّة مرات إلى الدول الاشتراكية ووصل حتى الصين ، ولكن بوجه خاص إلى مختلف الدول التي تسمى بالدول المتخلفة ، واعتباراً من عام ١٩٥٩ بوجه خاص أدى دوراً بارزاً كما هو معروف في تنظيم المؤتمرات الأفروآسيوية .

وربط تلك التجربة بعمله السياسي ولم يكن يرغب مطلقاً في أن ينفصل عن الجماهير الشعبية .

هذا هو أحد مظاهر المهدى بن بركة الذي أود أن أبرزه ، فقد كان على اتصال ليس بالفلاحين الذين جاء به ليعيش بينهم فحسب (وفي استطاعتي أن أؤكد ذلك بنفسي) ، بل بالجماهير وعامة الشعب والطلبة المغاربة عندما كان يذهب إلى باريس . والشيء

الذى كان يوجب الاهتمام فى موقفه هو أنه كان بحق يفكـر فى تطبيق تلك التجربة فى شمال افريقيـة وفى المـغرب بوجه خاص دون الاكتـرات بمذهب معقد للغاية حيث انه كان يهمـه بالضرورة ضـمان التـطور الاقتصادـي والاجتماعـي عن طريق الاتـصالـات بالجمـاهير الشعبـية .

وفـى المجال الذى كان يـجري فيه اتصـالـه أو الذى كان يـهمـه عدم الحـيلولة مـطلقاً بين تـفكـيرـه وعملـه السياسـى - استـطاع المـهدـى بن برـكة أن يـبدو شخصـاً «خـطـراً» .

وكان فى الحـقيقة «خـطـراً» بالنسبة إلى أولـئـك الذين لم يكونـوا يـحبـونـه حيث ان حـيوـية ذـهـنه وحـدة تـفكـيرـه كانتـ عـظـيمـتين ، وـكان «خـطـراً» لأنـه كان يـعـرف كـيف يـخـاطـب الجـماـهـير ، وـكان يـعـرف كـيف يـجـعـل الجـماـهـير تـبـعـه ، وـجـمـيعـنا نـذـكـر الطـرـيقـة غير العـادـية التي قـوـبلـ بها فى المـغرب عـنـدـما استـقـبـلـ هـنـاكـ بعد فـترـات غـيـاب طـولـية .

تلكـ هـى الذـكرـى التـى احتـفـظـ بها لـصـديـقـى ، لـذـكـ الصـديـقـ غير العـادـى الذى كان وـطـنـياً غـيـورـاً ، ولـكـنـ فى الـوقـتـ نفسه كان صـديـقاً لـفـرـنسـاً وـالـذـى فيما أـعـتـقـدـ استـطـاعـ أنـ يـمارـسـ نـفوـذاً حـاسـماً على تـطـوير بلـادـه وـتـطـوير الـعـلـاقـاتـ بينـ المـغـربـ وـفـرـنسـاً .

أندرـيهـ - لوـيـ دـيبـواـه «الـمنـدوـبـ الفـرنـسيـ المـقيـمـ السـابـقـ فـيـ المـغـربـ»

كـنـتـ آخرـ منـدوـبـ فـرنـسيـ مـقيـمـ فـيـ المـغـربـ وـقـدـ استـدـعـتـنىـ الحـكـومـةـ الفـرنـسيـةـ فـيـ الـوقـتـ الـذـىـ اـنـتـقلـ فـيـ المـغـربـ مـنـ دـوـلـةـ تـحـتـ الحـمـاـيـةـ إـلـىـ دـوـلـةـ مـسـتـقـلـةـ .

وـكـانـ الـمـوقـفـ صـعـبـاـ بـلـ وـمـحـفوـفاـ بـالـمـخـاطـرـ ، وـكـانـ يـنـبـغـىـ استـتـبابـ النـظـامـ الـعـامـ ، ثـمـ المـحـافـظـةـ عـلـىـ أـروـاحـ اـفـرـادـ الـجـالـيـةـ الفـرنـسـيـةـ وـمـمـتـلـكـاتـهـ (. . .) وـمـنـ بـيـنـ الـأـحـزـابـ الـقـائـمـةـ كـانـ لـحـزـبـ «الـاستـقـلـالـ» مـنـظـمةـ مـاـ تـسـمـعـ لـهـ بـعـمـلـ أـكـثـرـ فـعـالـيـةـ مـنـ الـأـحـزـابـ الـأـخـرـىـ ، وـكـانـ رـئـيـسـ تـلـكـ الـمـنظـمـةـ هـوـ الـمـهـدـىـ بـنـ بـرـكـةـ ، وـلـذـكـ قـدـ كـانـ فـيـ الـأـمـكـانـ أـنـ يـكـونـ مـوـقـفـهـ جـاسـماً ..

وـرـأـيـهـ فـيـ الـرـبـاطـ وـقـدـ هـذـاـ مـنـ روـعـىـ التـحلـيلـ الـذـىـ أـجـرـاهـ لـىـ عـنـ الـمـوقـفـ ، وـفـىـ الـحـقـيقـةـ كـانـ الـمـهـدـىـ بـنـ بـرـكـةـ يـؤـمـنـ فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ باـسـتـقـلـالـ بـلـادـهـ عـنـ طـرـيقـ الـمـفـاـوضـاتـ لـاـنـ طـرـيقـ الـعـنـفـ ، وـكـانـ فـيـ اـسـتـقـاعـتـهـ أـنـ يـضـفـطـ عـلـىـ «كـبـوـلـةـ الـدـيـنـامـيـتـ»ـ وـأـنـ يـدـمـرـ كـلـ شـيـءـ ، وـلـكـنـ اـدـراكـهـ السـيـاسـىـ وـقـاتـانـاـ مـنـ ذـكـ ، وـخـالـلـ عـامـ باـكـملـهـ لـمـ يـتـوقفـ عـلـهـ مـطـلـقاًـ بـيـنـ الـأـتـجـاهـ : مـثـالـ ذـكـ تـعـبـيـةـ قـطـاعـاتـ حـزـبـ الـاستـقـلـالـ عـنـ عـودـةـ مـحـمـدـ الـخـامـسـ مـنـ أـجـلـ اـتـمامـ الـأـجهـزةـ الـخـاصـةـ بـحـفـظـ الـنـظـامـ وـالـتـعـلـيمـاتـ الـخـطـيـةـ وـالـشـفـهـيـةـ وـالـتـوـسـطـ الـمـسـتـمـرـ سـوـاءـ وـقـتـ مـحاـوـلـاتـ الـاضـرـابـ أـوـ الـاضـطـرـابـ ، وـسـوـاءـ مـنـ أـجـلـ حـمـاـيـةـ الـفـرنـسـيـينـ الـمـهـدـيـينـ فـيـ مـمـتـلـكـاتـهـ (. . .) وـقـدـ دـلـتـ الـحـقـائقـ عـلـىـ الـتـعاـونـ الـتـامـ الـذـىـ لـمـ يـتـوقفـ عـنـ تـقـديـمـهـ لـنـاـ .

كما يجب أن نضيف أن الملك «محمد الخامس» كان أول من علم عن ذلك الإجراء والذى عن طريق اعتباره الشخصى غير المحدود وأيضاً عن طريق تعلق شعبه بالملكة العلوية ، كان عليه أن يساهم بصورة حاسمة في إعادة السلام والتفاهم التام في الامبراطورية الشريفية .

وهكذا عند سفرى لأول مرة منذ وقت طويل استطاع المستعمرون الفرنسيون أن يجذبوا في هدوء تام محصولات أراضيهم وهم في أمان من أي استيلاء وأى نهب ، وهذه النتيجة لم توصل إليها بمفردى أو عن طريق المصادفة ، وهذا هو السبب الذي من أجله كان على بوصفي آخر مثل لفرنسا في المغرب بكل انصاف أن أدلّ بهذه الشهادة أحياء لذكرى المهدى بن بركة .

ان المهدى بن بركة قد كرس منذ عدة سنوات جهوداً ضخمة للغاية لتطوير حركة التضامن الأفرو آسيوى فى آسيا وفي موسكو وفي بيKin ، وكان يرى أن الوقت قد حان لتوسيع نطاق ذلك التضامن الأفرو آسيوى ليشمل حركة التحرير فى أمريكا اللاتينية . وهذا هو السبب الذي من أجله كان أحد مشجعى ذلك المؤتمر للقارات الثلاث الذى كان مقرراً له أن يجتمع فى هافانا فى مطلع عام ١٩٦٦ والذى كان يشرف على اعداده .

وفي الفترة التي أتحدث عنها كان المهدى بن بركة مشغولاً بالضرورة بالأعداد لذلك المؤتمر .. والذى كان يريد أن يجعل منه حدثاً خطيراً وحدثاً تاريخياً في كفاح دول العالم الثالث ، وقد بلغ في ذلك الوقت - وهذا أمر لا يقبل الجدل - حداً جعل منه زعيمًا ثورياً عالمياً وفي الوقت نفسه أحد المفكرين البارزين في العالم الثالث .

وهذا هو السبب الذي من أجله كان يبدو واضحاً في تلك الفترة أن جميع الذين كانوا يعارضون في العالم تحرير الشعوب عن طريق استخدام القوة كانت لهم مصلحة واضحة في اختفاء ذلك الرجل !

مارسيل مانفيلي
(المحامي لدى المحكمة)

ذهبت الى مؤتمر القرارات الثلاث ممثلا لجزيرة مارتينيك التابعة لفرنسا « في البحر الكاريبي » ، ويجب أن أصف الانفعال الشديد الذي كان باديأ على جميع الوفود حينما علموا في شهر يناير بالظروف التي اختطف فيها المهدى بن بركة في باريس !

وكان هناك شيء مما أثر في وأحزنني : فان الكثير من وفود الدول الافريقية التي تنطق باللغة الفرنسية والكثير من زعماء المعارضة ممن حضروا أيضا في مؤتمر القرارات الثلاث ، عندما كانوا يعلمون يوما بعد يوم الظروف التي اشتركت فيها بعض ضباط الشرطة في عملية اختطاف ذلك المجاهد - كانوا يعتقدون انه كان ينبغي لهم تجنب الاقامة في باريس ، وتساءلوا سواء خطأ او صوابا : هل ينتظرون مصير مماثل ؟

وقد ذكر حكمدار الشرطة - الذى سمعت اقواله بين جدران هذه القاعة - ان سوشون وفواتوه قد وجها طعنة الى الشرطة ، وينبئي أن أقول : ان الطعنة قد وجهت الى فرنسا بسبب تلك الحادثة ، اذ انه مهما استطاع بعض الناس أن يظنو ومهما فكرت أنا في دائرة أخرى - فان فرنسا بالنسبة لكثيرين هنا ستظل وطن الحرية وأرض الدين لا وطن لهم ، وأرض اللاجئين والمنفيين وذلك منذ الثورة الفرنسية ، وهؤلاء الوفود كانوا يتساءلون : أليست تلك الصورة وتلك الحقيقة عن فرنسا في الطريق الى الذبول والزوال عقب حادثة المهدى بن بركة ؟

وانى لأصارحكم بكل جدية وبكل اخلاص أن ذلك قد سبب لي حزنا عميقا !

جان زيجلر

(أستاذ علم الاجتماع في المعهد الافريقي في جنيف)

من بين المهمات الكثيرة التي حققها المهدى بن بركة ، ومن بين التوسيطات الكثيرة والنصائح المتعددة التي قدمها للناس والى كبار الشخصيات في العالم الثالث من حضروا لمقابلته في جنيف في احدى اللحظات الحرجية التي كان يجتازها الكونجو - كان توسيطه المفيد من الأمور المميزة للغاية :

فقبل كل شيء كان المهدى بن بركة ، بوصفه الأمين العام لمنظمة التضامن الافرو آسيوية ، قد صاغ مبدأ تدخل منظمة الوحدة الافريقية ، ذلك المبدأ الذى دافعت عنه فيما بعد الوفود الافريقية لدى هيئة الأمم المتحدة .

وأخيرا بوجه خاص عندما قام الثوار بأخذ بعض الرهائن البيض - توسط المهدى بن بركة شخصيا لاماكن اجراء تبادل الرهائن ، وبتوسطه العجرى إنقذ المهدى بن بركة حياة حوالي خمسين من أعضاءبعثات التبشيرية والراهبات وبعض الناس من لم يرحم البة ، وقد خاطر في ذلك بعمله كزعيم للعالم الثالث وبسلطته من أجل دافع انساني .

مذحقات

نشاط اللجنة الخاصة بإطهار الحقيقة
في حادثة المهدى بن بركة
منذ سبتمبر عام ١٩٦٦

الخطاب المؤرخ في ١٥ من سبتمبر عام ١٩٦٦
الموجه إلى رئيس لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدي بن بركة

سيدي الرئيس

ردًا على ندائكم والنداء الصادر في ١٨ من مارس عام ١٩٦٦ عن لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدي بن بركة — أتشرف بأن أحيل لكم علمًا بأنه في المانيا أيضاً إقمنا بتبييد الصمت حول حادثة المهدي بن بركة ، وبهذه المناسبة نود أن نعبر عن تضامننا مع حركة التحرير والديمقراطية التي قمنا بشنها في هذا الموضوع .

وإذ نحن مدركون للخطر الذي يهدد النظم الخاصة باحدى الأمم المجاورة التي غزت العالم بأفكارها عن الحرية والديمقراطية والتي تظل مثلاً رمزيًا — نلتمس منكم أن تحيطوا الشعب الفرنسي وحكومته علمًا بتأييدنا لندائكم .

فولتر مولت

(ويحمل توقيعات ٢٢ من أعضاء البرلمان من الحزب المسيحي الديمقراطي والاشتراكي ، والكتاب وأساتذة الجامعات والنقابيين وممثلي اتحادات الطلبة) .

البيان الصحفى الصادر فى ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٦٦

البرقية المؤرخة فى ٩ من أكتوبر سنة ١٩٦٦

ان الدفاع عن لوبيز قد اودع جلسة ٨ من اكتوبر عام ١٩٦٦ بعض النتائج التى تميل الى ماتبع ذلك من مناقشة حول موت فيجون ، وقد أعلن النائب العام انه لأسباب تختلف عن أسباب الدفاع فانه لم يعترض على تلك النتائج ، بل على العكس تماما ، لهذا فان لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة وجهت البرقية التالية بتاريخ ٩ من اكتوبر سنة ١٩٦٦ قبل رفض النتائج المذكورة من المحكمة فى جلسة يوم ١٠ من اكتوبر :

« القاضى بيريز ، محكمة الجنائيات العليا

« باليه دو جوستيس ، باريس

« نوجه نظركم الى خطورة القرار الذى يمكن ان

« يعرقل كل اظهار للحقيقة ولا سيما بشأن العلاقة

« بين حادثة ابن بركة وحادثة موت فيجون » .

فى ٢٩ من اكتوبر سنة ١٩٦٦ وفي جامع باريس - القى البروفسور مكسيم رودينسون الخطاب التالى باسم لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة :

« ان موت المهدى بن بركة ، ذلك المجاهد المتألق والرجل الذى كان صريحا مع الجميع - قد تحول الى رمز ، فأولئك الذين اغتالوه انما يمثلون تبانيه الحى ، وهذا ينطبق على أولئك

تأسف لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة للبلبلة التى تهدد الاستقرار بين سير العدالة التى يجرى حثها على البحث عن المسئوليات أينما كانت ، سواء كانت تتعلق بالفرنسيين أو المغاربة ، والعلاقات بين الدولتين تتحدا بروابط لا يمكن انكارها أو الاعتراض عليها .

وبهذه الروح تأسف اللجنة لأن الحكومة المغربية لم تقدم التعاون اللازم الى العدالة الفرنسية من أجل البحث عن الحقيقة.

وبالروح نفسها تأسف اللجنة بأنه لا رئيس الوزراء ولا وزير الداخلية قد ادرك أن واجبهما هو الاستجابة الى نداء الدول للحضور والادلاء بشهادتهما بصورة مباشرة ، ويدو أكثر فأكثر أنه من الثابت أن الأمر لا يتعلق بقضية ثانوية ، بل بقضية خاصة بالحكومة مما يستلزم لا شهادة الوظيفين المسؤولين تقريبا فحسب بل شهادة أولئك الذين يعتمدون عليهم !

الذين سمحوا بقتله ! ان أولئك المخبرين السريين وأولئك القتلة وأولئك الاقطاعيين وأولئك الانتهازيين وأولئك الاشخاص الذين كانوا يعتزمون قبل كل شيء انساء « بيوت مغلقة ». في المغرب الجديد – انما كانوا يمثلون عالما يمقته هو مثلما نمقته نحن ، بذلك العالم الذي يتحتم علينا أن نحاربه مثلما كان يحاربه هو ، لذلك فإن ثباتات الحقيقة الكاملة عن هذا العالم انما هو عمل نافع مما نعتزم المضي في تنفيذه حتى النهاية .

رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٧/١٧

ان لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة تبعث بتحياتها الأخوية الى هيئة مؤتمر القارات الثلاث بمناسبة ذكرى المؤتمر الذي عقد في شهر يناير عام ١٩٦٦ ، وتوكيد استعدادها لبذل ما في استطاعتها لاظهار الحقيقة عن اختفاء المهدى بن بركة رائد القارات الثلاث .

بيان رسمي بتاريخ ١٩٦٧/٢/٦

(عقب وفاة الاستاذ بيير ستيب ورئيس هيئة المرافعة الفرنسية رينيه - وليم ثورب) .

ان لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة تحيي بكل وقار ذكرى المحاميين اللذين أوقفا كل ولايئما التام وموهبتهمما في البحث عن الحقيقة عن اختفاء المجاهد المغربي .

خطاب موجه الى المدعى العام بالجمهورية الفرنسية

بتاريخ ١٩٦٦/١٢/٨

عقب اجتماع مجلس الوزراء في يوم الأربعاء الموافق ١٩ من يناير سنة ١٩٦٦ – قرأ وزير الاعلام البيان الرسمي التالي :

« رغبة في وضع حد لحملات الدس التي سببتها أعمال التهور والاندفاع والتي تتعدى سرية الاجراءات – فقد قررت الحكومة بأنه من شأن النيابة العامة وحدها أن تقوم بابلاغ الشعب بصفة منتظمة بالحقائق التي يظهرها التحقيق »

وفي الوقت الذي تتكشف فيه التحقيقات التكميلية التي قررتها محكمة جنكيات السين العليا في ١٩ من أكتوبر ١٩٦٦ – إفادتنا تأمل كل الأمل أن يطبق قرار الحكومة المشار اليه آنفا بكل دقة وذلك في مصلحة الحق والعدالة .

النداء الموجه بتاريخ ٢٧ من أكتوبر سنة ١٩٦٦

خلال السنوات الأخيرة من حياته كانت شخصية المهدى بن بركة قد تأكّدت أكثر فأكثر على الصعيد الدولي ، وهكذا أصبح رمز التحرير لجميع ضحايا الظلم السياسي والجحود الاجتماعي ، ولهذا فإنه ينتمي إلى جميع الذين يقاومون مهما كان جنسهم أو دينتهم ، وحتى فيما وراء حدود القارات الثلاث وأنه يتوقف على هؤلاء استئناف تفكيره وعمله إلى حدود العالم .

غير أن المهدى بن بركة لم يكف في الوقت نفسه عن أن يكون مفربيا . ولما كان قد نشأ في الكفاح من أجل الاستقلال فقد كان يظن أن التاريخ لاينبغى أن يتوقف عند آى انتصار سياسي ، وظل قلقاً من أجل مستقبل بلاده . وبصفته مناضلاً من أجل التحرر ومجاهداً شعبياً – كان يتبع الكفاح دون ملل لكي يصبح وطنه أمّة مستقلة اقتصادياً ومتحررة من الامميات الاجتماعیة . وبسبب نضاله من أجل التحول الثوري في المغرب أُغتيل المهدى بن بركة الذي كان ضد كل مكان يحيط من شرفه .

أما فرنسا حيث تقرر مصيره فيها فإنها لن تستطيع أن تنسى أن ذلك المفكر الذي كان في غاية الوفاء لتكوينه الأصلي وموذجه العميق نحو العمال والزارعين المغاربة بل والطبقة الأممية – حصل ذلك المفكر معظم ثقافته فيها ، وأنه أقام مع رفاق الكفاح الفرنسيين روابط صدقة قوية لدرجة أن اختفاءه الذي لا يعوض لا يمكن أن يحملهم على الإذعان !

وقد حضر كثيرون من الشهود من جميع الجنسيات وأغلبهم من الفرنسيين وعدد كبير من العلماء والباحثين وأساتذة الجامعات، وكذلك المسؤولون السياسيون وزعماء الحركات على السواء .

حضر هؤلاء إلى قاعة محكمة الجنائيات العليا ليؤكدوا ذلك الدور الذي كان يُؤديه المهدى بن بركة ، ول يقدموا الولاء إلى الرجل الذي قرر الملك المغربي التخلص منه على الأرض الفرنسية منذ عام ، أي في ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٦٥ . وقد تم اختطاف المهدى بن بركة في ذلك اليوم في الساعة ١٤٥ في قلب باريس بالاشتراك مع ضباط الشرطة الفرنسيين وتدخلهم . وليس من المنتظر أن نراه مطلقاً مرة ثانية حيا .

أن مؤتمر القارات الثلاث الذي عقد أقصى هافانا في شهر يناير سنة ١٩٦٦ والذي كان المهدى بن بركة يرأس لجنته التحضيرية، قد قرر لتوه اعتبار يوم ٢٩ من أكتوبر « يوماً عالمياً لللاحتجاج على اغتياله ولتضامن مع الشعب المغربي » ، ويتابع في الوقت نفسه الكفاح من أجل « اظهار الحقيقة بأكملها » .

وفي اثر هذا النداء قررت لجنة اظهار الحقيقة عن حادثة المهدى بن بركة أن تنظم مع عائلة المهدى بن بركة وأصدقائه ومع حزب الاتحاد الوطني للقوى الشعبية مظاهرة تذكارية ، وستقام في يوم السبت الموافق ٢٩ من أكتوبر في الساعة الثانية عشرة ظهراً بالمعهد الإسلامي بشارع جوفروي سان إيلار رقم ٥ (ه) .

وقد أبلغت المنظمات التالية اللجنة أنه سوف يشترك في ذلك الاحتفال : رابطة حقوق الإنسان والمواطن والاتحاد الوطني الفرنسي للطلبة والاتحاد العام للشغل والحزب الاشتراكي الموحد والحزب الشيوعي الفرنسي واتحاد الجناح اليساري الديمقراطي والاشتراكي .

وتحث اللجنة على أن يشترك في ذلك الاحتفال كل من يرغب في تقديم الولاء في ذكرى المهدى بن بركة والتعبير عن تضامنه مع الشعب المغربي ، ومع الرجال الذين يناضلون ضد كل أنواع الاضطهاد .

الفهرس

صفحة

مقدمة : بقلم شارل أندرية جولييان	٤
تقديم : يتضمن أربع شهادات رئيسية	٩
١ - رشيد سكيرج	١٤
٢ - روبير فيريديه	١٨
٣ - ولد شريف	١٩
٤ - روبير بيرون	٢١
الجزء الأول : المسئوليات	٢٣
عرض موجز للأحداث	٢٥
١ - دور وكالة المخابرات الفرنسية	٣٩
٢ - دور رئيس الوزراء	٧٢
٣ - دور الشرطة	٨٣
الجزء الثاني : الشهود لصالح المهدى بن بركة والقضية	١٠٧
١ - أمانويل داستيه دولافيجرو	١٠٩
٢ - محمد يزيد	١١٣
٣ - عثمانى سيانفويجوس	١١٥
٤ - سليمان رشيد الحشن	١١٧
٥ - جيلبير جرانفال	١١٩
٦ - ألان سافارى	١٢١
٧ - جاك بيوك	١٢٣
٨ - كلود بورديه	١٢٧
٩ - ريجى بلاشير	١٢٨
١٠ - هنريان دو شابوناي	١٣٢
١١ - جان دريش	١٣٥
١٢ - أندرية لو ديبواه	١٣٧
١٣ - كلود أستيه	١٣٩
١٤ - مارسيل مانفيل	١٤٠
١٥ - جان زيجلر	١٤١
ملحقات : نشاط اللجنة الخاصة باظهار الحقيقة في حادثة	
المهدى بن بركة منذ شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦	١٤٣